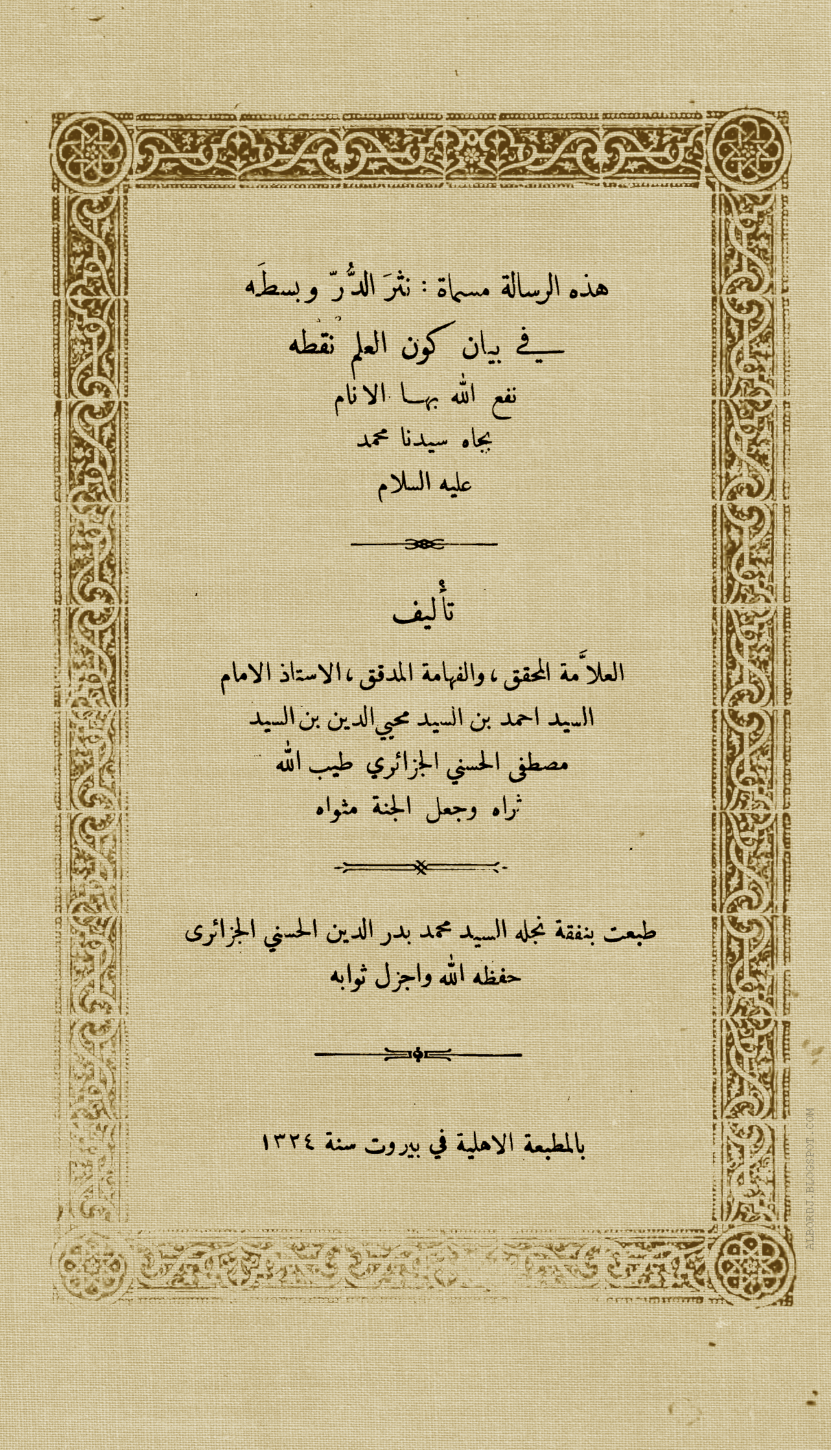
JAZA'IRI

NATHR
AL-DURR


Princeton University Library
32101 077792503



هذه الرسالة مسماة : نثر الدُّرّ وبسطه
في بيان كون العلم نقطه

نفع الله بها الانام
بجاه سيدنا محمد
عليه السلام

تأليف

العلاّمة المحقق، والفهامة المدقق، الاستاذ الامام
السيد احمد بن السيد محيي الدين بن السيد
مصطفى الحسني الجزائري طيب الله
ثراه وجعل الجنة مثواه

طبعت بنفقة نجله السيد محمد بدر الدين الحسني الجزائري
حفظه الله واجزل ثوابه

بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٤

al-Jazā'irī, Aḥmad ibn Muḥyī al-Dīn

Nathr al-durr

هذه الرسالة مسماة : نثرَ الدُّرّ وبسطَه

في بيان كون العلم نقطه

نفع الله بها الانام

بجاه سيدنا محمد

عليه السلام

تأليف

العلاّمة المحقق ، والفهامة المدقق ، الاستاذ الامام

السيد احمد بن السيد محيي الدين بن السيد

مصطفى الحسني الجزائري طيب الله

ثراه وجعل الجنة مثواه

طبعت بنفقة نجله السيد محمد بدر الدين الحسني الجزائرى

حفظه الله واجزل ثوابه

بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٤

ترجمة مؤلف هذه الرسالة ملخصة من كتاب

« تعطير المشام في مآثر دمشق الشام »

في ذكر طبقات مشاهير القرن الرابع عشر

السيد احمد بن السيد محيي الدين بن السيد مصطفى الحسني الجزائري ثم الدمشقي المالكي الاثرى

امامٌ لا يدرك شأوه ، ولا يجارى في حلبة اللطائف خطوه ، طلع في جبهة عصره غره ، واضحى غنياً عن الوصف بالشهره ، وُلد رحمه الله تعالى في شعبان سنة (١٢٤٩) في القيطنة من ضواحي وهران وتربى في حجر اخيه العلامة السيد محمد السعيد لوفاة والده قبل فطامه، ولما بلغ سن التمييز شرع في حفظ القرآن الكريم حتى حفظه عن ظهر قلب وهو دون البلوغ ثم اشتغل بطلب العلم فقرأ على اخيه المنوّه به طرفاً من مبادىء الفقه وغيره وقرأ على ابنه السيد مرتضى جانباً من النحو والوضع . وحضر في علم الكلام على اخيه العارف الجليل الامير الشهير السيد عبد القادر قدس سره وفي الفقه ايضاً على الشيخ محمد بن عبد الله الخالدى ولما سار الامير الى فرنسا اثر وقائعه المعروفه استصحبه في جملة العائلة الكريمة . ولما قدم الامير الى بروسة سار المترجم مع اخوته الى عنابة من اعمال الجزائر واقام هو واخوته بها نحواً من خمس سنين ثم قدموا دمشق سنة (١٢٧٣) واخذ المترجم في تكميل تحصيل العلوم والفنون فحضر في فن النحو والكلام والبيان والمنطق والوضع والاصول عند العلامة المحقق الشيخ محمد الطندتائي الازهرى ثم الدمشقي ولازمه سنين وقرأ في النحو ايضاً على ابن عمته العلامة السيد مصطفى ابن التهامى امام المالكية بالجامع الاموي . وحضر في التجويد وغيره على العلامة الشيخ يوسف المغربي مدرس دار الحديث الاشرفية وحضر في التفسير على اخيه العلامة السيد محمد السعيد المتقدم . وتلقى الحديث عن العلامة الشهير الشيخ قاسم الحلاق فقد سمع منه صحيح البخاري بطرفيه بعد العصر في جامع السنانية في شهر رمضان وحضره في اوائل تفسير البيضاوي فى حجرته بجامع حسان . وسمع على اخيه الامير صحيحي

البخاري ومسلم في مدرسة دار الحديث الاشرفية· وحضره في مواقفه الشهيرة وفي الفتوحات المكية في داره لما قرئت بحضوره بعد تصحيحها على نسخة موءلفها· وولع المترجم بفن التصوف وادمن التنظر فيه· وتلقن ذكر الطريقة القادرية من السيد محمد علي افندى الكيلاني ومن اخيه الامير ايضاً واشتهر فضله وصلاحه ونبله واقرأ في داره في فنون متنوعة وكذا في جامع العنابة في جواره من قسم باب السريجه درساً عاماً بين العشائين مدة· وكان محافظاً على اوقاته قسمها على الذكر والتلاوة ومطالعة العلم والتاليف وزيارة الاخوان وصلة الارحام والرياضة وكان له ميعاد بين العشائين ليلتي الاثنين والجمعة في داره يجتمع عنده فيهما بعض مريديه يذكرون الله تعالى قعوداً الى العشاء· وكان شديد المحافظة على الجماعة اول الوقت قلَّ ان تفوته الا ان يغلب عليها لأمر مهم· وكان شديد المحافظة على قيام الليل حضراً وسفراً يطيل القيام والركوع والسجود فيها في ابتهال وتضرع زائد· وكان مجللاً عند الخاصة والعامة محبباً للكافة مقصوداً لحل المشكلات سمحاً بجاهه فيه دعابة تشف عن رقة حاشية وله ذوق عربي يقدر قدر البليغ من الكلام ويقضي بما حوى من رقة وانسجام· مشربه الحديث الصحيح والعمل به والدعوة الى التمسك به والحث عليه· الوفاً ودوداً متواضعاً حسن المحاضرة غزير النادرة وكان لا يجيب دعوة من يعلم ان مكسبه حرام وان اضطر الى الحضور فلا يأكل بل يجلس على المائدة ويعتذر بانه اضطر الى طعام قبل حضوره· وان اكل في بعض الاحيان فيتقلل منه ثم يتصدق بقيمة ما اكل هكذا عادته يتأثر بها بعض الصوفية عليهم الرحمة والرضوان· وله كتابات حسنة في مسائل فقهية وغيرها كما ان له رسائل لطيفة يتخلل مباحثها شذرات من اصول الصوفية وجمع اخبرا تاريخاً في سيرة اخيه الامير ولم يزل على طريقته المثلى الى ان المَّ بمزاجه مرض اعيى نطس الاطباء واسلم معه الروح الطاهرة صباح الاربعاء ١٧ ربيع الثاني سنة (١٣٢٠) وصلى عليه في الجامع الاموى في مشهد حافل ثم واروه جدث الرحمة في تربة الباب الصغير قريباً من المرقد المنسوب لبلال الحبشي الصحابي الجليل رضي الله عنه وارضاه



وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي علم الانسان النطق والبيان ، وخصه بجولان مفكرته في المعقولات الى ان ادركت حقائق الاشياء وبانت لها كل التبيان ، والصلاة والسلام على مظهر العلوم الغيبية ، وينبوع الادراكات الوهبية ، سيدنا ومولانا محمد سيد ولد عدنان ، وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان

« وبعد » فيقول عبد ربه الغني ، احمد بن محيي الدين الحسني ، نوَّر الحق تعالى لبه ، وسقى من زلال العلوم اللدنية والتقوى جوارحه وقلبه ، انك سألتني ايها المحب انار الله قلبي وقلبك بنوره ، وشرفني واياك بظهور مكنونه ومستوره ، عن قول الامام علي كرم الله تعالى وجهه ، وسدَّدنا بجاهه في كل مسلك وَوِجهه ﴿ العلم نقطة كثَّرها الجاهلون ﴾ فأجبتك وان كنت لست اهلاً للجواب ، ولا ممن يحسن ان يفوه في مجلس الفضلاء بفصل خطـاب ، متطفلاً على ذلك ، ومتجاسرًا على ما هنالك ، مع علمي بأنني لست من ارباب هذا الشان ، ولا من فرسان هذا الميدان ، اعتماداً على الكريم الفتاح ، ان يهب لي

من خزائن جوده ما يتم به العطاء والامناح ، وسميت ما جمعته في هذه الاوراق :

نثر الدر و بسطه ، في بيان كون العلم نقطه

فاعلم ان حقيقة العلم على القول بانه يعرّف هي ادراك الشيء على ما هو به ، او هي صفة ينكشف بها المعلوم انكشافاً لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه ، او صفة راسخة تدرك بها الجزئيات، اوهي حصول صورة الشيء في العقل ، وصورة الشيء هي مثاله المطابقُ له المنطبعُ في العقل انطباعَ صوَر المبصرات في المرآة بمعنى ان العلم هو انطباع صورة المعلوم فى البصيرة ، كما ان ادراك البصر هو انطباع صوَر المبصرات في القوةالباصرة ، والبصيرة قوة في القلب تدرَك بها المعقولات ، وذكر بعضهم ان العلم هو ادراك الكليات اى المركبات ويعني بها النسب التي لا تكون الا بين منسوب ومنسوب اليه ضد المعرفة التي هي ادراك الجزئيات اي البسائط ، ثم انه ان اطلق على الصورة الحاصلة في العقل فيعم التصورات والتصديقات · او على انه صفة ينجلى بها المعلوم لمن قامت به فيخص بالتصورات والتصديقات اليقينية · او على حكم الذهن الجازم المطابق الثابت فيخص بالتصديق اليقيني · وهذا كله في العلم الحادث واما علم الحق تعالى فلا يتصف بتصور ولا تصديق اذ كلٌّ منهما مفسرٌ بالادراك الذي هو وصول

النفس الى المعنى مفرداً كان او مركباً · وايضاً التصور حصول الصورة وهو من خواص الاجسام · فاذا احطت علما بما تقدم وذقته فهماً تبين لك ان معنى العلم الذي هو عبارة عن شيئ لا يتعدد كالنقطة كثرته الجهال بسبب اسئلتها وبحثها عن الشيء الواحد وكثرة اشكالاتها ووجه ذلك التعدد هو تفاوت استعدادات الاشخاص المسئولة جرياً على ان المراد بالعلم في الاثر المتقدم العلم الفقهي على ما فسره به بعضهم وان كان فيه ما فيه على ما سيظهر لك بعد ان شاء الله تعالى · وان تأملت فيه اتضح لك ما فيه · والنقطة عبارة عن شيء لا يقبل القسمة بوجه ولا حال اذ هي جزء لا يتجزأ ولا ينقسم لا طولاً ولا عرضاً ولا عمقاً ولا بالعقل ولا بالوهم فهي كالجوهر الفرد عند من يقول به ولا تخالفه الا بالعرضية لانها تقال على ما تتماس به الخطوط · او هي عبارة عن طرف الخط · قال بعضهم انها من العدميات · وقيل من الاعتبارات · وقيل من الكميات وهذا عند الحكماء · واما عند اهل السنة فهي الجوهر الفرد · وحيث ان العلم هو الادراك فهو شيء واحد لا تعدد فيه ولا تكثر · فان قلت انا قد وجدناه متعدداً ولو قديماً فان العلم بزيد غير العلم بخالد وهلم جراً ، ومتغيرا ايضاً فان العلم بزيد في المسجد غير العلم به في السوق والعلم به حياً غير العلم به ميتاً قلت ان ذلك التعدد او التغير انما هو في المتعلق وهو لا

يوجب تعدداً فيه نفسه او تغيره فانه بمنزلة المرآة وهي لا تتغير بتغير المتوجه عليها ولا تتعدد بتعدده· بقي ان حمل الاثر المتقدم على العلم الفقهي لتكثير الفقهاء مسائله حمل بعيد لا يساعده الوصف بتكثير الجهلة له ولا الحال وذلك لأن قول الامام كرّم الله وجهه كان قبل تدوين الفقهاء مسائل العلم وتشعبهم لها التشعب الكلي بكثرة الاستنباطات والاختلافات وكثرة التأويلات والقياسات · واما الصحابة رضي الله عنهم فانهم لم يختلفوا في المسائل اختلاف الفقهاء فيها · وقالت السادات الصوفيـة ارباب القلوب الصافية رضي الله عنهم : وجه وحدة العلم وكونه نقطة هو ان المعلوم واحد وانما كثرته اراء الجهال بتوهمها · واقول والله اعلم ان هذا المعنى هو الذي عناه الامام وهو الذي يظهر لي ويطمئن به القلب بان يكون مراده رضي الله عنه والعلاقة المجازية ظاهرة غير خفية ويعضده على سبيل الاشارة قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه · ويوضح لك ذلك ويرشدك الى ما هنالك الواحد في المراتب العددية فانه موجود فيها · مفقودٌ صورةً عنها · والنقطة ايضاً فانها داخلة في الحروف كلها ان تاملت ومقوّمة لها وسارية فيها ومبدؤها وذلك ظاهر ان حققت · فان كل حرف مبدؤه نقطة كما هو مشاهد · والكلمة فانها سارية في جميع اقسامها التي هي الاسم والفعل والحرف والمقصد لا يخفى على ذويه

فالاولى الكف والامساك عن التوضيح لما فيه · ولذلك قيل :

يا رب جوهر علم لو ابوح به   لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاُستحل رجال مسلمون دمي   يرون اقبح ما ياتونه حسنا

وقيل

ان الوجود وان تعدد ظاهرًا   وحياتكم ما فيــه الا انتمُ
انتم حقيقــة كل موجود بدا   ووجود هذي الكائنات توهمُ
في باطني من وصفكم ما لو بدا   افتى بسفك دمى الذي لا يفهمُ

وقال ابو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين فاما احدهما فبثثته فيكم واما الآخر فلو بثثته قطع هذا البعلوم اه صحيح البخارى رضي الله عنه · اقول ان جميع الاحتمالات التي ذكرت في تفسير هذا الاثر والاجوبة التي سطروها في تكلمهم عليه غير حمله على علوم السادات الصوفية اقناعية يعرف ذلك من له ادنى ذوق وانصاف سليم القلب خاليًا من التقليد ور كوب مطية الجهل والاعتساف نظرًا لتمام الاثر اذ قطع البلعوم الذي هو مجرى الطعام نص في وجوب الكتم عن غير اهله ويكاد ذلك ان يكون نصًا في علوم الاسرار التي هي علوم القوم رضي الله عنهم فليتامل واذا اشرأَبت نفسك لطلب الاطلاع على ذلك السر الذي كتمه ابو هريرة ولم يفشه خشية ان يحمله السامع على غير وجهه ويسلك به

غير سبيله فيضل فنقول : ان توضيح ذلك حسبما ذكره سيادة اخي العلامة العارف بالله تعالى السيد عبدالقادر بن محيى الدين في مواقفه المدهشة وبيَّنه من الاسرار المنعشة بقوله ان الحقيقة المحمدية هي عين الاشياء كلها من حيث الماهية لكونها عين الاشياء كلها حقيقة وهي غيرها من حيث الصورة كما انها عين نور الحق من حيث الماهية وغيره من حيث الصورة وذلك ان الحق تعالى افاض على اعيان المكونات نور الحقيقة المحمدية فظهرت بسبب ذلك الفيض جميع المحسوسات ولولا ذلك الفيض وسريان تلك الحقيقة في الموجودات ما ظهر موجود اصلاً اذ هي روحه لكونها هي المقومة لجميع الاشياء وهذه الحقيقة هي التي يعبرون عنها بالتعين الاول وهي غاية ما يصل اليه الواصلون من كمل الرجال وجميع ما تسمعه من تغزلاتهم وتشبيبهم ونسيبهم انما هو فيها ويسمونها ليلى وسلمى وسعدى والراح والخمر وغير ذلك اه والیها یشیر العارف الكامل الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه بقوله :

شربنا على ذكر الحبيب مدامةً سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم
وفي سكرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبداً طائعاً ولك الحكم
ولا عيش في الدنيا لمن عاش صاحيا ومن لم يمت سكرًا بها فاته الحزم
يقولون لي صفها وانت بوصفها خبير اجل عندي باوصافها علم

صفاء ولا مــاء ولطف ولا هوا ونور ولا نار وروح ولا جسم

قال شارحها العلامة العارف بالله الشيخ يحيى الجيلي رحمــه الله تعالى ورضي عنه : اعلم ان للحق تجليين احدهما لذاته تعالى في ذاته في حضرته العلمية بصور الاعيان الثابتة حسب قابليتها واستعداداتها وهي في هذا التجلي ما شمت رائحة الوجود ولا اتصفت به اصلاً وجميع كمالاتها من العلوم والمعارف والاسرار وسائر الاحوال في هذا التجلي مكمونة في حيز الاستعداد خفية فيه والآخر التجلي الشهودي العيني وهو عبارة عن ظهور الوجود بحسب استعــدادات الاعيان وقابليتها في المراتب الكونية روحاً ومثالاً وحساً وخيــالاً لان بهذا التجلي يظهر بالتدريج في عالم الشهادة جميع ما كمن في حقائق الاعيان واندرج في قابليتها واستعداداتها في التجلي الاول من الاحوال والاوصاف وسائر الاحكام والاضافات فعلى هذا يكون المراد بالمدامة المحبة الذاتية الازلية و بشربها قبول الاستعداد وذلك في مرتبة الاعيان الثابتة وبذكر الحبيب التجلى العلمى العينى الذي ظهر من حضرته العلمية بصور الاعيان وقابليتها والمراد بالسكر هو الاستعداد له في تلك المرتبة او حقيقة في مراتب دونها من المراتب الكونية وبالكرم السكرات الوجودية العينية فيكون المعنى على هذا اننا لما كنا في الحضرة العلمية عند التجلي الاول بصور الاعيان صرنا مستعدين

لشراب صفة المحبة الذاتية التي هي استعداد سكرنا في سائر المراتب
الكونية التي دونها وهذا الاستعداد والقابلية كانا قبل ظهور السكرات
الوجودية في عالم الشهادة و يجوز ان يكون المراد بشرب المدامة
التحقق بصفة المحبة في عالم الارواح و يكون المراد بالسكر حقيقته التي
تحصل لارواح الكمل في مشاهدة جمال الحق تعالى فيكون المعنى
على هذا الوجه اننا شربنا قبل تعلق الارواح بالاشباح وتعشقها بها
على ذكر الحبيب شراب المدامة التي هي واسطة هيمان ارواحنا وسبب
حيرتها في مشاهدة جمال المحبوب ثم ان جماعة قالوا له انك وصفت
تلك المدامة بما وصفتها وشرحت خواصها وفوائدها بالاوصاف اللائقة
بها نريد منك زيادة في وصفها باوصاف خاصة بها فقال لهم ان لي
معرفة تامة بحقيقة احوالها واوصافها اذ ليس لي شغل بسوى شرب
كدرها وصافيها وصفتها انها صفاء لا كصفاء ماء يتغير بالغبار وكلها
لطافة لا كلطافة هواء يتكثف بالبخار وكلها نور لا كنور نار ممتزجة
بظلمة الدخان وكلها روح لا كروح متعلقة بالابدان حتى يكون معها
الجسم وتكون مقيدة بهذا الاسم اه بحذف والى الحقيقة المحمدية
يشير قوله عليه السلام اول ما خلق الله نور نبيك يا جابر فظهر لك
مما تقدم ان حقيقته صلى الله عليه وسلم هي حقيقة الحقائق وان
روحه روح الارواح اذ جميعها مقتطف من نوره عليه السلام لانه

هو السراج الاول الذي انقدت منه جميع السرُج الكونية فهو اصل لجميع الموجودات من حيث حقيقته لا من حيث صورته البشرية ومن اجل ذلك عمت رحمة الحق تعالى الموجودات كلها ولذلك قال ورحمتي وسعت كل شيء وهذه الرحمة عبارة عن الوجود المفاض على الاشياء وقال وما ارسلناك الى رحمة للعالمين ارسالاً معنوياً معقولاً عند ذوى البصائر المنورة قلوبهم فاهل الله تعالى دائماً يشاهدون الحقيقة المحمدية و يشاهدون سريانها في الاشياء كلها كانت ما كانت ولا يغيب ذلك الشهود عنهم اذ قد استولى على قلوبهم الحضور وعلى جميع حواسهم وذلك السريان يشبه سريان النقطة في الحروف اذ هي تفصيل لها كما ان جميع العوالم تفصيل لتلك الحقيقة المحمدية ولله در من قال :

لا تقل دارها بشرقيّ نجد — كل نجد للعامرية دار
فلها منزل على كل ماءٍ — وعلى كل دمنة آثار

ولذا قال بعضهم لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين لكونه من اصحاب الحضور الذين قال تعالى في حقهم «والذين هم على صلاتهم دائمون» فافهم . واذا فهمت فاكتم . فثمَّ شيء من وراء طور العقل ان عرفته فالزم «وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون» فكل ما تراه هي شؤون للحق تعالى

وتجليات له يتجلى بها يخلع تجلياً و يلبس آخر على الدوام دنيا واُخرى

ولبعض العارفين

ولا اقول بتكرار الوجود ولا عود التجلى فما في الامر تكرار
البحر بحر على ما كان من قدم ان الحوادث امواج وانهار
لا تحجبنك اشكال مشكلة عمن تشكل فيها فهي استار

وقال ايضاً

وامرُّ ما لقيت من الم النوى قرب الحبيب وما اليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق متونها محمول

وقال الآخر

ومن عجب اني احنُّ اليهمُ واسأَل شوقاً عنهمُ وهمُ معي
وتبكيهمُ عيني وهم في سوادها وتشتاقهم نفسي وهم بين اضلعي

وقال الآخر

كم ذا تموّه بالشعبين والعلم والامر اوضح من نار على علم
اراك تسأَل عن نجد وانت بها وعن تهامة هذا حال متهم

وقال الآخر

ومن وجه ليلى طلعة البدر تستضي وفي الشمس ابصار الورى تتحير
وما احتجبت الا برفع حجابها ومن عجب ان الظهور تستر

وقال الآخر

بالنور يظهر ما ترى من صورة　　وبه وجود الكائنات بلا امترا
لكنــه يخفى لفرط ظهوره　　حساً ويدركه البصير من الورى

وقال الآخر

تعدد هذا الكون والكثرة التي　　تلوح خيال كالسراب نخلها
وما ثم الا واحد جل ذكره　　لنا يتجلى في المظاهر كلها

وقال الآخر

عباراتنا شتى وحسنك واحد　　وكلٌّ الى ذاك الجمال يشير

وقال الآخر

وليس ثم سوى فرد بعينه　　عين الكثير فلا تلوي على احد

ويشهد لما ذكروه حديث: كان الله ولا شيء معه وهو الان على ما عليه كان فافهم · ولا غير ولا حلول ولا اتحاد · ان تاملت وفهمت المراد ووفقت لطريق السداد وبيان انتفاء ذلك هو ان لا وجودين ولا ذاتين حتى تحكم باتصالهما او بالاتحاد بينهما او بالحلول فان من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده عين محال · ولا مساغ للاتحاد الذي هو تصيير الذاتين ذاتاً واحدة لانه ان كانت عين كل واحد منهما موجودة في حال اتحادهما فهما اثنان لا واحد وان عدمت العين الثانية فليس ذلك باتحاد بين شيئين لعدم احدهما وان عدما معاً كان عدم

الاتحاد اظهر وابين . ولا مساغ للحلول الذي هو عبارة عن دخول احدى الذاتين في الاخرى لانهما اما ان يكونا واجبين او واجب وممكن والاول مستحيل بواضح البرهان والثاني باطل بالبداهة اذ لا بقاء للحادث مع تجلي القديم . والانسان اذا نظر الى الظاهر وجد بين الوجودين التباين الكلي واذا نظر بعين بصيرته وجد غير ذلك ومن ثم قال من قال :

لهم كلام هنا ان شئت تعرفه　　　فاعرفه منهم ولا تعرفه من قبلي

ولبعض العارفين رضي الله عنه معبرًا عن حالته قبل الفتح وعما حصل له بعد ذلك من فنائه عن نفسه وعن العالم بجميعه واستغراقه في الحضرة الالوهية

لقد كنت دهرًا قبل ان يكشف الغطا　　　اخالك اني ذاكر لك شاكر

فلما اضاء الليل اصبحت شاهدًا　　　بانك مذكور وذكرٌ وذاكر

وقال العارف بالله تعالى سيدي علي وفا رضي الله عنه :

ان كنت تنظر في المراتب صورتي　　　فانا الذي لك في المشاهد شاهد

واذا نظرت على الحقيقة ذاتنا　　　فانا وانت هناك شيء واحد

وبيان ذلك انك اذا نظرت الى ظـــل الشخص المتوجه على المرآة المرسوم فيها تعلم المراد ويتضح لك الامر غاية الوضوح ويذهب

عنك توهم الاتحاد او الحلول فانه يجوز لك ان تحكم على ذلك الظل بانه عين الشخص المتوجه عليها لكون جميع مشخصاته موجودة فيـه وان تحكم عليه بالغيرية ايضاً اذ لا دم فيـه ولا لحم ولا عصب ولا عظم ولا عروق . وبانه ليس عيناً ولا غيراً وتحكم على حركة المتوجه عليه بانها حركة المتوجه قطعاً اذ ليس في الحضرة سواهما والمتوجه لم ينتقل ولا حلَّ في المرآة وهذا غاية ما يوضح به الامر تقريباً ولا تغفل عن مرتبة الحدوث والقدم فتقع في الحسرة والندم فالحق تعالى توجه على مرآة الوجود فظهرت الموجودات بواسطة الاسماء الالهية على حسب استعدادها وقابليتها وذلك لان الموجودات ظلال الاسماء الالهية والاسماء الالهية ظلال الذات الغيبية فافهم . ومما ذكرناه تعلم ان الوجود الكوني خيال والوجود الحقيقي انما هو للكبير المتعال ولذا قال بعض العارفين رضي الله عنهم

انمـا الكون خيال وهو حقٌّ في الحقيقه
كلُّ من قال بهذا حاز اسرار الطريقه

وقال الآخر

كل ما في الكون وهمٌ او خيال او عكوس في مرايا او ظلال

فظهر لك مما اشرنا اليه واومأنا رمزاً للعثور عليه ان الكون واحد وان المراد بالنقطة نقطة الوجود الكوني واعني بها وحدة الوجود

التي هي قطب رحى علم الصوفية ومركز فلك كلامهم الذي عليه يدور وهي مغناهم الذي فيه يسرحون وفسيحهم الخصب الذي اليه يرجعون وروضهم الذي هم فيه يتنعمون وجنتهم المعجلة التي اليها يتشوقون وبحرهم العذب الذي فيه يسبحون ومن طيب زلاله يشربون فاكرم بذلك الحزب من حزب الهي مبجل باهي واعظم به من فريق دائماً يعومون ليلهم ونهارهم في موج تيار بحر الوحدة الذاتية العميق وكل مسرة وابتهاج وسائر الملائمات للمزاج بالنسبة الى استهلاكهم رضي الله عنهم فى عين الجمع هي مستحقرة لا ثمن لها عندهم ولا قيمة ولا تنافس بينهم الا في طلب الدرة الثمينة فاولئك هم الرجال الكاملون وعرائس الحق المحجبون الذين لا يحظى بمشاهدتهم وجميل مؤانستهم الا محارمهم المعظمون

لله تحت قباب العز طائفة   اخفاهم في لباس الفقر اجلال

امدني الله تعالى بمددهم وافاض عليَّ من معارفهم واسرارهم . واعلم ان كل من فتح الحقُّ تعالى عليه الفتح الكبير لا بد له من القول بوحدة الوجود ذوقاً وشهوداً خلافاً لجميع العبَّاد والزهاد ولعلماء الرسوم فانهم لا يقولون بذلك لكونهم لم يشموا من تلك رائحة ولا برقت لهم من بروقها لائحة وهى توحيد الخواص واهل الاختصاص الذين خصهم الحق بعنايته يقول قائلهم ما رايت شيئاً الا رايت الله قبله او معه او بعده

او فيه : الاول لابي بكر والثاني لعمر والثالث لعثمان والرابع لعلي رضي الله تعالى عنهم وفي كلامهم جميعاً الاشارة الى توحيدهم الخاص بهم مع التصريح بدوام الحضور مع الحق جل جلاله وعم فضله ونواله ومن كمل شهوده من السادات يشهد الحق عياناً والخلق ايماناً ولذلك يقولون العارف يرى الله قبل وجود الاثار ويستدل به على وجودها والمحجوب بالعكس . وجل ما تذكره السادات الصوفية من الكلام مبنيٌّ على تلك الوحدة ومشير اليها فيجب على كل من يطالع كتبهم ان يسلمها اليهم اعتقاداً وان لم يدركها ذوقاً لكي ينتفع بهم وبكتبهم والا فلا يذوق لكلامهم معنى ولا يشم له رائحة ويكاد ان لا تلتئم له عبارة من عباراتهم ويتناقض عنده الكلام فيصير كمن اصابه هيام او الماشي في ظلام فالاحسن بمن يتصفح كتبهم ان يظن بهم خيراً ولا يتكلم فيهم بسوء اصلاً اذ الوقوع فيهم سم قتال وو بال وايّ وبال كيف وهم العدول المبرزون والائمة المكرمون وضنائن الحق المحترمون ولكن يحرم على من لم يسلم لهم كلامهم ان يطالع كتبهم المشحونة بالحقائق المبنية على وحدة الوجود والا كان حتفه اقرب من عطفه ويخشى عليه ان يسقط من شاهق عظيم على ام راسه وتكون نجاته ابعد من نجاة من وقع في لجة ماء فاراد ان يتعلق لكي يتخلص من ورطته بكواكب السماء . نعم كتب الاداب والرقائق التي لهم يستحب مطالعتها وادمان

مراجعتها لتهذيب الاخلاق ومعرفة كيفية الادب بين يدى الملك الخلاق اقتداءً بهم لان لهم في ذلك القدح المعلى والمنصب الاعلى فيرى المطالع لهم فيها من المجاهدات وجمع الهمة والاخلاص في الخدمة وتصفية القلوب ما يحير العقول ويعجز الفحول ومن العبادات الشاقة التى تكاد ان لا تكون في الطاقة ومن عظيم الشوق للحضرة والاشتياق الى المحادثة والمشاهدة والنظرة ومن التأوه المتصاعد والتحسر المتزايد ولا سيما اذا جن الظلام تكاثر لديهم الغرام وعظم الهيام فيذهب عن اعينهم المنام فيقومون خاشعين باكين متضرعين متململين سائلين النظر الى وجهه الكريم وان يسقيهم من كاس رضوانه ولذة مناجاته جريال مؤانسته

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

وقال الآخر

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الاكباد

وقال الآخر

ما نال عبد من الرحمن منزلة اعلا من الشوق ان الشوق محمود

وقال بعض العارفين ما انتفعت في بدايتي بشيء كانتفاعي بابيات كنت سمعتها وانا مارٌّ بالطريق من جارية وهي :

اذا قلت اهدى الهجر لي حلل الضنا تقولين لولا الهجر لم يطب الحب

وان قلت هذا القلب احرقه الهوى   تقولى بنيران الهوي شرف القلب
وان قلت ما اذنبت قلتِ مجيبة   وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

وقالت السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها

لازم الباب ان عشقت الجمالا   واهجر النوم ان طلبت الوصالا
ولتك النفس منك اول نقد   في جمال من حسنه يتلالا

ولبعضهم

بقدر الكد تكتسب المعالي   ومن طلب العلى سهر الليالي
تروم المجد ثم تنام ليلاً   يغوص البحر من طلب اللئالي

ولله در السادات الصوفية ما اسعدهم . وبتعلق قلوبهم بمولاهم ما اشرفهم . فهنيئاً لهم بمناجاتهم لسيدهم في الدياجي والظلام . وتأنسهم به ومخاطبتهم له في وحدتهم والناس نيام . يقول قائلهم :

قف بباب الحبيب ليلاً وناده   وتشكَّ من هجره وبعاده
وعلى الباب عفّر الخدَّ ذلا   ولتكن حافظاً قديم وداده
ثم قل طالت القطيعة والهجر   وجفني لم يكتحل برقاده
فالحبيب الذي ترجّيه اضحى   جوده فائضاً على قصاده

وقال الآخر

يا مؤنسي في الليل ان هجع الورى   ومحدثي من بينهم بنهاريه

وارباب العشق الجمالي رضي الله عنهم اذا جنّ الظلام، وهجع

الانام ، تردد على قلوبهم ما ورد في الخبر من ان الحق تعالى يقول كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني . كل محب يطلب الخلوة بمحبوبه ها انا ذا قد تجليت لعبادي هل من داعٍ فاستجيب له هل من تائب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له هل من كذا هل من كذا حتى ينصدع الفجر . فاهل الليل من اهل الله هم الفائزون بهذه الحُظوة في هذه الخلوة ، اللهم اني اسئلك بنور وجهك الكريم ان تجعلني منهم . وان تحشرني معهم . وان تمن عليَّ بما مننت به عليهم من الاسرار ، وافضته على قلوبهم من الانوار ، اولئك هم الرجال ، الجهابذة الابطال ارباب العنايات الالهيـــة ، والحظوظ الربانية ، والمواهب اللدنية ، ولا يظن ظانٌّ انهم وصلوا الى ما وصلوا بالتكاسل والتواني ، والتسوف بالاماني ، فهيهات هيهات بل ما وصلوا الى ما وصلوا وحظوا بغاية مطلوبهم ومناهم واتصلوا

الاَّ باخمـــاص البطون والسهر والصمت والعزلة عن كل البشر

والزهد في الدنيا وتقصيرِ الامل وفكرةِ القلب واكثار العمـــل

والخوف والذكر بكل حال والصبر والقوت من الحـــلال

وفعل انواع المعاملات وفعل اكبر المجاهـــدات

فلازم التفويض والانابه فان ذى طريقة الصحابه

تأَنست قلوبهم بـــالله فاخلصوا اوقاتهم لله

واستغرقوا اوقاتهم في الطاعه　　على بساط الصدق والضراعه
الناس في جوف الظلام هجعوا　　والقوم فيه سجدوا وركعوا
حثوا مطايا الحزم في جوف الدجا　　تطلع شمسهم اذا الليل سجا
وفي المناجاة لهم كؤس　　تحيى بها الارواح والنفوس
هم الهداة بهداهم اقتدي　　الى مراتب الوصول تهتدي

فان عثرت ايها المريد على من اتصف بالاوصاف المذكورة فاستمسك به فانه الكبريت الاحمر، والاكسير الاكبر، ومن العجب ان يوجد من هذا وصفه، ولا يلتمس عطفه، ويلثم قدمه، مع ظهور ما تقدم عليه من عظيم المتابعة للشرع المحمدي، والسنن الاحمدى، فان تلك الاوصاف هي الميزان، والعنوان على كمال ذلك الانسان، اذ متى ظهرت هذه الحال التي ذكرها الشيخ الاخضري رحمه الله فيما تقدم من الابيات على انسان فاجزم بانه الرجل الكامل، والسيد الواصل، والولي الولاية الخاصة حقاً، والمكمل صدقاً، ولا تطلب منه برهاناً او كرامه، اذ الاستقامه، هي عين الكرامه، يقول سيدنا امام العارفين، وقدوة الواصلين، ختم الولاية المحمدية الشيخ محيى الدين ابن العربي قدس سره العزيز

ترك الكرامة لا يكون دليلا　　فاصغ لقولي فهو اقوم قيلا
ان الكرامة قد يكون وجودها　　حظ المكرم ثم ساء سبيلا

فاحرص على العلم الذي كانته　　لا تتخـذ غير الاله بديـلا

سترُ الكرامـة واجب متحقق　　عند الرجال فلا تكن مخذولا

وظهورها في المرسلين فريضة　　وبهـا تنزل وحيـه تنزيلا

فالكرامة الحقيقية هي شدة المحافظة على الدين المحمدي ، والتعظيم للشرع الطاهر الاحمـدي ، والوقوف مع الحدود الالهية المنصوبة لتكميل الانسان وترقيته فان تلك الحدود التي وضعها الحق لا يخشى ان يكون في ملازمتها مكر الهي لكون الحق تعالى لم ينصبهـا لذلك بخلاف الكرامات فانها ربما يكون فيها المكر والخذلان . فلو رأيت اكبر امر خارق للعادة على يد من ظهر ثم رأيت عدم تعظيم صاحب ذلك الامر الخارق للشريعة المطهرة ، وعدم مبالاته بحدودها المسطرة وملازمتها قولاً وفعلاً فلا تلتفت اليه . ولا لما ظهر على يديه . من ذلك الامر الخارق للعادة ، فانه اما سحر او استدراج او قوة همةٍ فعالةٍ كما هو مرئيٌّ ومشاهد في العائن من التأثير في الاشياء وقد رأينا في زماننا هذا من يدعي الوصول ، ومقامات الرجال الفحول مع عدم مبالاته بالشريعة المطهرة ، ويقول انما الشرع قيد لمن تقيد به ولمن لم يصل واما الواصل فلا تحجير عليه بل له ان يفعل ما يشاء وانما جاءته هذه التسويلات من شيخه اللعين ابليس يقول العـارف بالله الشيخ الاخضري في منظومته في الآداب :

والشرع ميزان الامور كلها وشاهد لاصلها وفرعها
والشرع نور الحق منه قد بدا وانفجرت منه ينابيع الهدى
من لم يلذ بالمنهج المحمدى باء بسخط الله طول الابد
فلو رأيت رجلاً يطير وفوق ماء البحر قد يسير
ولم يكن متبعاً للشرع فانه مستدرج وبدعي
يا عجباً لرافض الشريعه ويدعي درجة رفيعه
وكيف يرقى سلم الحقيقه مخالف لسيد الخليقه

فعلامة الكامل من الرجال التخلق باخلاق سيد الوجود عليه السلام والتجمل بها في اغلب الاوقات . فلا تظن ان الكمل والمفتوح عليهم الفتح الكبير يخرجون بعده عن البشرية فيكون ذلك سبباً حاملاً لك على عدم الاعتقاد والكمال في اهل زمانك ومعاصريك حيث انك لم تجد فيهم ما تتخيله من الاوصاف الملكية ، والتنزه عن لوازم البشرية وتترك الاخذ عنهم لما يبدو لك منهم من اوصاف بشريتهم بعد ان اعطيتك الميزان آنفاً فقد كان السلف من كمل الرجال يا كلون ويشربون ويخاصمون ويغضبون ويرضون تارة وتارة لا يرضون ويعطون ويمنعون ويضعفون ويمرضون ويهانون ويقتلون وتنالهم النوائب . وتحل باجسامهم المصائب . ولا تتوهم كما توهمه المتوهمون وظنه الظانون اولو البصائر المطموسة من نفيهم المنح الرحمانية

والعطايا الالهية ، واستبعادها عمن هو مثلهم اقتداء بالجاهلية الجهلاء والطائفة العمياء حيث استبعدوا المواهب الالهية كل البعد وصدوا عن المتصفين بها كل الصد وحجروا على الحق تعالى ان يجعل سره في بشر مثلهم مساوٍ لهم في الانسانية والامور العادية والاشياء الشهادية فقالوا ماهذا الا بشر مثلكم يا كل مما تا كلون منه و يشرب مماتشربون وقالوا ما لهذا الرسول يا كل الطعام ويمشي في الاسواق ظناً منهم ان الانسان لا يكمل الا اذا خرج عن البشرية بالكلية وصار لا يا كل ولا يشرب ولا يخاصم ولا يغضب مع ان البشرية لا تزول عن الانسان اصلاً ولكنها تكمن فيهم بقوة الطاعات والتخلق بالاخلاق الالهية وبالمجاهدات ولا تظهر منهم غالباً الا عند المقتضي المشروع كالجهادوانتهاك محارم الله وحمي الذمار · والغالب انهالاتظهر منهم الا في امثال هذه المواطن وقد تظهر منهم في غير ذلك ندوراً اذ لا يمكن ان يصير الانسان ملكاً في جميع اوقاته و يخرج عن بشريته اذا اجتباه ربه وقربه واصطفاه وجعله من اوليائه وخواص اصفيائه · وقد كنت سألت اخي العارف بالله السيد عبد القادر بن محيي الدين عما ورد عنه عليه السلام من انه قبِل اسلام وحشي قاتلِ سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه ثم قال له فهل تستطيع ان تغيب وجهك عني كما هو مروي في صحيح البخارى مع ان المولى جل جلاله قال قل للذين

كفروا ان ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف وقال فلمْ تقتـلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى · فاجابني بقوله ان البشرية لا تزول حتى عن الانبياء عليهم السلام ·ه فالانسان ما شرف على جميع المخلوقات الا بجمعه بين صفتي الجلال والجمال وصرف كل واحدة منهما في محالها اللائق بها شرعاً · فالولاية الخاصة انما هي انوار ترد على قلوب العارفين · واسرارٌ الهية تقذف في بواطن الصديقين وقوة يقين تستقر بافئدة الواصلين · ومعانٍ وجدانية ذوقيةٌ يجدونها مكتوبة في نفوسهم · على صفحات قلوبهم · لاستنارة بصائرهم بكثرة الاذكار · ومراقبتهم للحق جل جلاله آناء الليل واطراف النهار · ثم ان السادات الصوفيـة رضي الله عنهم احياناً يفنيهم الحق عن انفسهم وعن العالم فيغيبون فيه ويقع لهم الصعق والمحق · وربما حصلت منهم بعض الشطحات اذ ذاك فلا يشعرون بما يفعلون ولا بما يفعل بهم ومن ثم قيل :

طوارق انوار تلوح اذا بدات فتظهر كتماناً وتخبر عن جمع

ثم انهم بعد افاقتهم من غيبتهم يرجعون بعلم يعلمونه وسرٍّ يشهدونه والا كانت الغيبة نوماً · وتارة لشدة توجههم بقلوبهم اليه وفنائهم فيه تظهر منهم الكرامات وخوارق العادات وهم في هذه الحالة ليسوا هم وان كنا نشاهدهم حاضرين فيما يتراآى لنا ببادي الرأي وهم في حقيقة الامر

غائبون وذلك لان الحق تعالى اذا ازاد اظهار شيء على ايديهم اخذهم عن نفوسهم وعن العالم ثم يظهر ذلك الامر الخارق على ايديهم من غير تعمل منهم ولا طلب ولا توجه همة ومتى كان ذلك بتوجه همة او طلب كان نقصاً في مرتبة من ظهر على يديه ولذلك نراهم اذا ردوا الى انفسهم لا يتظاهرون بكرامة اصلاً ويكونون عبيداً عجزاً اذلاء تحت سلطنة الالوهية فيهانون وربما يقتلون ولا يظهرون ما هم عليه في نفس الامر من تمام الاقتدار على الاشياء مع انهم لو ارادوا ان يزلزلوا الجبال الراسيات لزلزلوها او ان يمحقوا الارض لمحقوها ولا تظهر منهم الا الاخلاق الحسنة في غالب اوقاتهم ومشاهدتهم للفاعل بهم وبغيرهم من هو ولذلك يبدو منهم ما يبدو من الكمال الذي اورثتهم له ملازمة الطاعات وادمان العبادات ومحافظة الاوقات ولزوم المتابعة لسيد الموجودات عليه السلام في جميع ما يفعلون او يذرون . يقول امام العارفين وسلطان المحققين سيدنا الامام محيي الدين بن العربي الحاتمي افاض الحق تعالى علينا من بحور اسراره ونوّرنا بانواره رضي الله عنه وارضاه وجعل في اعلا الفردوس مثواه آمين

لما لزمت قرع بـاب الله كنت المراقبَ لم اكن بالساهي
حتى بدت للعين سبحة وجهه والى هلمّ لم تكن الاَّ هي
فاحطت علماً بالوجود فما لنا في قلبنا علم بغير الله

لو يسلك الخلق الغريب محجتي   لم يسئلوك عن الحقيقة ما هي

واعلم ان المجاهدة وان بلغت ما بلغت لا تكون سبباً للفتح الكبير وانما هو مواهب ربانية وعطايا رحمانية وحظوظ ازلية يخص بها الحق تعالى من يشاء من عباده ٠ نعم التخلية عن الاغيار حتى يكون الشخص من اهل البقاء فان ذلك له سبب عادي وهو المجاهدة على يد المرشد ٠ ومن ثم حصل الخلاف بينهم هل الولاية مكتسبة او لا ٠ فقال بعضهم مكتسبة ٠ وقال بعضهم ليست بمكتسبة وانما هي مثل النبوَّة يخص بها الحق تعالى من يريد ٠ وجعل العارف بالله الشيخ الدردير الخلاف لفظياً ٠ فقال ان من قال انها مكتسبة اراد التخليَ من الاغيار وشهود الحق تعالى في اغلب الاوقات ٠ فان ذلك مكتسب بالمجاهدات ٠ واما الولاية بمعنى العطايا التي يخص بها الحق تعالى اهل العنايات كالعلوم اللدنية والاطلاع على المغيبات والاجتماع بسيد الموجودات عليه السلام والخوارق والكرامات فليست بمكتسبة بل قد يكمل الشخص ولا يحصل له شيء من ذلك اصلاً اه الصاوي بمعناه ٠ فالواصل هو الانسان المعتنى به الذي امتن عليه سيده بمشاهدته في جميع حضراته وتعيناته وتجلياته فعلى العاقل ان يدمن قرع باب مولاه اعطاء للعبودية حقها لينيله كرماً منه وفضلاً غاية قربه ورضوانه ويتجلى عليه فيشاهده بعين قلبه ويجتليه ببصر بصيرته من

غير تحيز ولا اتصال ولا انفصال ويكلمه في سره ويورد عليه مايورده من الاسرار ويفيضه عليه من الانوار فيقول حدثني قلبي عن ربي ولبعض العارفين رضي الله عنهم وارضاهم

ولما تجلى من احب تكرُّما   واشهدني ذاك الجمال المعظما

تعرّف لي حتى تيقنت انني   اراه بعيني جهرة لا توهما

وفي كل حال اجتليه ولم يزل   على طورقلبي حيث كنت مكلما

وما هو في وصلي بمتصل ولا   بمنفصل عني وحاشاه منهما

وما قدر قدري ان يحيط بمثله   واين الثرى من رفعة البدر انما

اشاهده في صفو سرى فاجتلى   جمالاً تعالى عزه ان يقسما

كما ان بدر التم ينظر وجهه   بصفو غدير وهو في افق السما

فالسادات الصوفية رضي الله عنهم متى استولى على الذاكر منهم سلطان الحقيقة او على المراقب منهم ذلك فانه ينمحي ويفنى عن نفسه وعن العالم باسره ويضمحل وجوده باطناً ولم يبق له اسم ولا رسم ثم اذا صحا ورجع بعد تلك الغيبة الى احساسه ، دخل في الاشياء بربه لا بنفسه، وصار لا يزلزله عن مقره شيء ولا يصرفه صارف ولا يستفزه مستفز او يستخفه مستخف من جميع الحوادث التي تحدث في الكون ومن جميع التجليات التي يتجلى الحق تعالى بها عليه اذ قد صار جبلاً راسخاً ، وطوداً شامخاً ، ويثبت له عند ذلك الحضور الدائم والمشاهدة

للذات الاقدس بنظر الايقان،اذ قد استقرت قدمه في مقام الاحسان
قال العارف بالله الامام الكبير سيـــدنا ابو الحسن الشاذلي رضي الله
عنه انا لننظر الله تعالى ببصر الايمان فاغنانا بذلك عن الدليل والبرهان
وقال الامام جعفر الصادق رضي الله عنه لا تدركه الابصار بمشاهدة
العيان ، ولكن تشاهده القلوب بحقائق الايمان ، فهو لا يحسّ بالحواس
ولا يقاس بالناس . ويحكى ان رجلاً قال لسيدنا الجنيد رضي الله
عنه يا ابا القاسم هل رايتم ربكم حين عبدتموه او اعتقدتم الوصول
بقلوبكم اليه فقال له ايها السائل ما كنا بالذي يعبد ربًا لا يراه وما
كان بالذي تراه عيوننا فنشبهه وما كنا بالذين نجهله فلا ننزهه .
فقال له الرجل فكيف رايتموه فقال الكيفية معلومة في حق البشر
مجهولة في حق الرب لن تراه الابصار في هذه الدار بمشاهدة العيان
ولكن تعرفه القلوب بحقائق الايمان ثم ترتقي من المعرفة الى الرؤية
بمشاهدة نور الايمان فهو سبحانه مرئيٌّ بالحقائق القدسية منزّه عن
الصفات الحدثية مقدس بجماله منعوت بكماله متفضل على القلوب
بمواهبه ونواله معروف بعدله منعوت بفضله فلما سمع الرجل مقالته
قبل يده وتاب ولازمه الى ان ظهرت عليه علامات الصلاح والفلاح
وصاحبهُ الى ان مات واعلم ان جميع الصوفيـــة رضي الله عنهم
مجمعون ومتواطئون على ان جميع الخلق محجوبون عن شهود الذات

الصرف المنزهة وان الحق تعالى لا يزال غير معلوم من هــذا الوجه اصلاً لان التجليَ الذاتي في غير مظهر لا يقع ولا يكون اصــلاً ولم يبق الا التجلي في المظاهر من صور المحسوسات او المعقولات وهي ـــفي الحقيقة جسور بها يعلم ان وراءها امر لا يمكن ان يشهد ولا ان يدرك ولذلك قيل

« العجز عن درك الادراك ادراك »

اذا فهمت ذلك علمت ان حجاب الجهل بالذات المقدسة لا يرتفع عن المخلوق اصلاً لا في الدنيا ولا في الآخرة فسبحان من العلم به عين الجهل به والجهل به عين العلم به ولهذا قال بعضهم

ان الصفات التي جاء الكتاب بها تنزهت عن مجال الفكر والفكر
وكيف يدرك من لا شيء يشبهه من ياخذ العلم عن حس وعن نظر
والعلم بالله عين الجهل فيه به والجهل بالله عين العلم فاعتبر

وقال العلامة العارف بالله الشيخ محمد السنوسي رضي الله عنه عجزت العقول عن الادراك وانقطع تشوفها للخوض فيما خرج عن دائرة التوهمات والتخيلات وقصارى امرها انها صــارت من اجل اللمحة التي لحظت والزمرة التي بها غابت عن العوالم كلها وفيها تاهت وبها ولهت تتطاير من حجاب الكبرياء وارديّة العز شوقاً الى مالا يكيف من جميل اللقاء وتتنسم من مواهب الزيادة لكشف الغطاء ماتروح

به عن القلب المحترق والاحشاء وربما عظم الشوق بلفظ نسيم المزيد فشطحت الذات شطحاً طارت به الروح عن سجن الجسد واتصلت بما لا نهاية لزيادة نعيمه على طول الامد ولذا يقول القطب الجامع ابو مدين رضي الله عنه في هذا المعنى

فقل للذي ينهى عن الوجد اهله ... اذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
اذا اهتزت الارواح شوقاً الى اللقا ... فترقص في الاقفاص ياجاهل المعنى
امـا تنظر الطيرَ المقفصَ يا فتى ... اذا ذكر الاوطان حنَّ الى المغنى
ففرَّج بالتغريـد مـا بفؤاده ... فتضطرب الاعضاء بالحس والمعنى
ويرقص في الاقفاص شوقاً الى اللقا ... فتهتز ارباب العقول اذا غنى
كـذلك ارواح المحبين يا فتى ... تهززها الاشواق للعالم الاسنـا
اتلزمهـا بالصبر وهي مشوقـة ... وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى
فيا حادي العشاق قم واحدُ قائمـاً ... وزمزم لنا باسم الحبيب وروّحنـا
وصن سرنا في سكرنا عن حسودنا ... وان انكرت عيناك شيئاً فسامحنـا
فانا اذا طبنـا وطابت نفوسنـا ... وخامرنا خمر الغرام تهتكنـا
فلا تلم السكران في حال سكره ... فقد رفع التكليف في سكرنا عنـا

وللعشاق في حال سكرهم كلام يطوى ولا يحكى وذلك ككلام الحلاج واضرابه ممن استولى عليهم سلطان العشق حتى افنـاهم عن نفوسهم وعن العالم ثم انهم اذا ردوا بعد ذلك الى ميزان العقل الذي هو ميزان الله في الارض المنوط به التكاليف عرفوا ان ذلك لم يكن حقيقة وانما هو مثل قول القائل في حال فرط عشقه انا من اهوى ومن اهوى

انا . ومثله من يرى الخمر في الزجاج فيظن ان لون الزجاج لون الخمر ولون الخمر لون الزجاج وانما جاءه ذلك من الوهم فقط . يقول بعضهم

رقَّ الزجاج ورقت الخمر　　فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدحٌ　　وكانما قدحٌ ولا خمر

وقال الآخر

عجبت منك ومني　　اشغلتني بك عني
ادنيتني منك حتى　　ظننت انك اني

والفناء في الله عندهم على ثلاثة اقسام . فناء عن وجود السوى وهو فناء القائلين بوحدة الوجود وانه ما ثم غيرٌ اصلاً وهو فناؤهم في الوحدة المطلقة ونفي الكثرة فلا يشهدون الغير وانما يشهدون المظهر عين الظاهر وان الوجود واحد فما ثمَّ وجودان ممكن وواجب . وفناء عن شهود السوى وهو غيبتهم عن نفوسهم وعن العالم باسره بان لا يشاهد المشاهد منهم سواه ويغيب بمعبوده عن عبادته وبمذكوره عن ذكره وبموجده عن وجوده وبمحبوبه عن حبه وبمشهوده عن شهوده ويسمى حاله هذا سكراً واصطلاماً ومحواً وجمع الجمع . وفناء عن ارادة السوى وهو ان يكون صاحبه شائماً برق الفناء عن ارادة ماسواه ، سالكاً سبيل الجمع على ما يحبه ويرضاه ، فانياً بمراد محبوبه عن مراده هو من محبوبه فضلاً عن ارادة غيره اذ قد اتحد مراده بمراد

محبوبه الديني لا الكوني فان غاية المحبة اتحاد مراد المحب بمراد المحبوب وفناء ارادة المحب في مراد المحبوب · وهذا الاتحاد والفناء هو اتحاد خواص المحبين وفناؤهم لا غير · ولما ذكرناه تراهم يقولون ان لهم رضي الله عنهم ثلاث مقامات في هذا المعنى · مقام الجمع · ومقام جمع الجمع · ومقام التفرقة مع الجمع · فمقام الجمع هو شهود الاشياء بالله والتبري من الحول والقوة الا به وهو شهود حق بلا خلق فلا وجود للسوى في عين الرائي اصلاً · ومقام جمع الجمع هو الاستهلاك با لكلية في الله والفناء عما سواه بحيث لا يشاهد السوى ولا يلتفت اليه مع وجوده في نفس الامر · ومقام الفرق هو مشاهدة العبودية ورؤية الخلق بلا حق · واعلاها مقام التفرقة مع الجمع وهي وجود المحب بمحبوبه ورجوعه عن صِرف الجمع الى مقام العبودية المحضة وصاحبها يكون سالمًا من الدعوى ومسلم الامور لموجدها ومجريها ومصرِّفها كيف يشاء و يختار فهو لا ينازع الربوبية اصلاً ما لم يفنَ في ذات الحق تعالى فاذا فنيَ فيها وقتاً ما وبدا منه شيء لا يعاتب عليه لعدم شعوره بما يفعل او يترك · يقول العارف بالله الشيخ عبد السلام المقدسي رضي الله عنه فاذا فنيتْ ذاتك ، وذهبت صفاتك ، قام بصفاته عن صفاتك ، وبيقائه عن بقائك ، وخلع عليك خلعة فبي يسمع ، وبي يبصر ، فيكون هو متوليك ومواليك ، فان نطقت فباذكاره ، وان

نظرت فبانواره ، وان تحركت فباقداره ، وان بطشت فباقتداره اه
فاذا ظهر من ذلك المغيب عن احساسه شيء والحالة هذه فلا يتوجه
عليه لوم لان من كان في هذا المقام لا يتوجه عليه اعتراض معترض
ان بدا منه ما ينكر ظاهره ولا يصل الانسان الى هذا المقام الا بدوام
الذكر والمراقبة للمذكور وتعلق قلبه به في جميع الاوقات ، وكثرة
الطاعات ، والمحافظة عليها ما تعاقبت الآنات ، وشدة المتابعة لسيد
الوجود عليه السلام والتسليم لله تعالى ظاهراً وباطناً وقد يحصل هذا
المقام لبعضهم بالعناية السابقة لمن خصه الحق تعالى بها وجعله من
اهلها من المحبوبين له ارباب الجذبة الالهية المرادين المعتنى بهم من
خلقه جعلنا الله تعالى منهم كرماً وفضلاً ومنة بجاه سيدنا ومولانا محمد
عليه السلام ولله در العارف الكبير الشيخ محمد وفا رضي الله عنه حيث
قال منشداً على لسان الحضرة الالهية

اطع امرنا نرفع لاجلك حجبنا	فانا منحنا بالرضى من احبنا
ولذ بحمانا واحتم بجنابنا	لنحميك مما فيه اسباب خلفنا
وعش في حمانا خاضعا متذللا	وأخلص لنا تلق المسرات والهنا
وسلم الينا الامر في كل ما يكون	فما القرب والابعاد الا بامرنا
ولا تعترضنا في الامور فكل من	اردناه احببناه حتى احبنا
ينادى له في الكون انا نحبه	فيسمع من في الكون امر محبنا
فيكسي جلابيب الوقار لانه	اقام بالاذلال على باب عزنا

رفعنا له حجباً ابجناه نظرة ... الينا واودعناه من سرّ سرّنا
تمسكْ باذيال المحبة واغتنمْ ... ليالي بها تحظى باوقات قربنا
وقم في الدجا فالليل ميقات من يرد ... وصال حبيب فاغنم فيه وصلنا
فما الليل الاّ للتجدد مطيةٌ ... وميدان سبق فاستبق تبلغ المنى
وسر نحونا لا تخش في الليل وحشة ... وكن ذاكرًا فالانس في طيب ذكرنا
وعن ذكرنا لا يشغلنك شاغل ... ولا تنسنا واقصد بذكرك وجهنا
ولا تنس ميثاقًا اخذناه اولاً ... عليك باقرار كتبناه عندنا
ولا تنس احسانًا بسطناه عندنا ... وثيقًا ولا تنقض مواثيق عهدنا
امرناك ان تأتي مطيعًا لبابنا ... فابطأت كاتبناك مع خير رسلنا
كفيناك اغنيناك عن سائر الورى ... فلا تلتفت يومًا الى غير وجهنا
نسيت فذكرناك هل انت ذاكر ... باحساننا ام انت ناس لفضلنا
وجدناك مضطرًا فقلنا لك ادعنا ... نجبك فهلاً انت حقًا دعوتنا
دعوناك للخيرات اعرضت نائيًا ... فهل تلق من يحسن لمثلك مثلنا
غفرنا تكرمنا عليك وكلما ... تسترت اسبلنا عليك بسترنا
نباديك بالاحسان تأتي بضده ... مع العلم والاقرار انك عبدنا
فوا خجلتي منه اذا هو قائل ... ايا عبد سوءٍ ما قرأت كتابنا
اما تستحي منا ويكفيك ما جرى ... أما تختشي من عتبنا يوم جمعنا
أما آن ان تقلع عن الذنب راجعًا ... الينا وتنظر ما به جاء وعدنا
فاحبابنا اختاروا المحبة مذهبا ... وما خالفوا عن مذهب الحب شرعنا
وقلنا لاهل الحب في خلوة الرضى ... ابحنا كمُ الرؤيا تملوا بحسننا
فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي ... رأوه لما وليت عنا لغيرنا
ولو لاح من ارواحنا لك لائح ... تركت جميع الكائنات لأجلنا
ولو نسمت من قربنا لك نسمة ... لمتّ غريبًا واشتياقًا لقربنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة ... عذرت الذي اضحى قتيلاً بحبنا

ولو سمعت اذناك حسن خطابنا … خلعت ثياب العجب عنك وجئتنا
محباً مطيعاً خاضعاً متذللا … لنعطيك امناً في حضيرة قدسنا
فمن جائنا طوعاً رفعناه رتبة … وعنه كشفنا الهمّ والغمّ والعنا
ومن حاد عنا ضل سعياً ومذهباً … وباء بحرمان ولم يبلغ المنى
ومن حبنا يعتدُّ للضر والبلا … ويصبر على البلوى لانفاذ حكمنا
فما حبنا سهل وكل من ادعى … سهولته قلنا له قد جهلتنا
وايسر ما في الحب للصب قتله … واصعب من قتل الفنا يوم هجرنا
فيا ايها العشاق هذا خطابنا … اليكم فما ايضاح ما عندكم لنا
فقال خواص العاشقين تذللا … يلذ لنا في معرك الحب قتلنا
ولا دية نرضى بها غير نظرة … اليك ولكن نظرةٌ منك تكفنا
اذا كنت عنا راضياً فهو قصدنا … وكلٌّ يقولوا انت في الحبّ حبنا
وجدناك في الاحباب اوفى موادد … واكرم محبوبٍ ببرّ وصلتنا
تداركتنا باللطف في ظلمة الحشا … وخير كفيل في الحشاً قد كفلتنا
جعلت بطون الامهات مهادنا … ودبرتنا في ضعفنا ورزقتنا
واسكنت عند الامهات تعطفا … الينا وفي الثديين اجريت رزقنا
وانشأتنا طفلاً واطلقت السناً … نترجم بالاقرار انك ربنا
وعرّفتنا اياك فالحمد دائماً … لوجهك اذ الهمتنا منك رشدنا
وانعمت بالاسلام ثم هديتنا … بواسطة منا به قد رحمتنا
محمد المبعوث للناس رحمة … اجل الورى المختار طه شفيعنا
اجل رسول جاءنا بشفاعة … ودين قويم وهو عصمة امرنا
بطاعتنا سدنا وحزنا كرامةً … وفزنا باسعاد وتم سرورنا
عليه صلاة الله فهو امامنا … وخيرتنا والملتجى يوم حشرنا
مدى ابن وفاءٍ قال في الذات منشداً … اطع امرنا نرفع لأجلك حجبنا

فقد بين الناظم رحمه الله تعالى ورضي عنه في هذه القصيدة الاشياءَ التي يحصل بها التقرب الى المولى جل جلاله وحث المريدَ على ملازمتها ليحظى بما يرومه من مواهب مولاه في الدنيا وفي الآخرة وهي لزوم الطاعة والتمسك بها والاخلاص فيها وتسليم الامور لمصرفها ومجريها حسب ما تقتضيه ارادته وعدم الاعتراض عليه تعالى في شيء من الاشياء وقيام الليل وكثرة الاذكار والتزام الحدود الشرعية والانشراح اليها والخضوع للاوامر الالهية حسبما اخذ الحق تعالى علينا العهود والمواثيق في الازل عند مخاطبته للارواح · وما ذكره هو مبنى السير والسلوك ، لطالب الوصول الى ملك الملوك ، فلا تلتفت لسواه ، من كلام كل مبتدع سفيهٍ واه ، ساقط من عين الله ، فلا يستفزنك من يدعي الوصول من زنادقة الوقت ويقول ان الحدود الشرعية والاوضاع الالهية قيدٌ لمن تقيد بها · ومتى كسر الانسان القيد تواردت عليه الواردات ، وانفتحت له ابواب الفيوضات وانه بتكسير ذلك القيد انكشفت له اسرار المغيبات · وترقى الى ان وصل الى مقام ابيحت له فيه جميع المحرمات · وهيهات هيهات ان يصل ذلك المغرور ، او ترتفع عنه الستور ، أَما الى الدرك الاسفل فنعم ، وجميع تلك الفيوضات وما ادعاه من الواردات انما تواردت عليه وانفتح سبيلها اليه من شيخه اللعين ابليس ذى المكايد العظيمة والتلبيس

وزادته غروراً طلاقة لسانه التي سرت اليه منه مع الأُمية او شبهها ونهاية العية وما يتبعها فتوهم بسبب نطقه بما لم يكن ينطق به من قبل ان ذلك هو الفتح المطلوب ولم يعلم ان ذلك التفصح انما القاه على لسانه شيخه المذكور ليغر غيره به ويغتر هو في نفسه بما يصدر عنه من الاقوال المستظرفة مع عدم معاطاته للعلم ومجالسة اهله وسماع الدروس ومن بعض الكلمات المزخرفة والتراكيب المزيفة التي اغتر بها واهلك من تبعه واقتدى به بسببها متوهماً حصول النفع منه وخيره وهو لا يكتسب منه الا شره وضيره كما توهم ذلك المغرور ايضاً ان ما يحصل له من بعض التخيلات الفاسدة هو الفتح الكبير وتحقق انه في سيره على صراط مستقيم ونهج قويم ولم يشعر بانه قد لعبت به هوج الرياح الكفرية فانهارَ في مهاوي البوار والهلاك والدمار ولا سراج يضيء عليه في تلك الظلمات المتراكمة ولا نهار ومعاذ الله ان يحظى ذلك الممكور به فالاطلاع على الحقائق والاسرار وسني الانوار وهو معرض عن الاوامر الالهية وتارك لها بالكلية فان من تعدى الحدود هو عن الحضرة الالهية مطرود · نعم ان كانت الحقائق التي توهم اطلاعه عليها شيطانية فهو جدير بذلك واحق بما هنالك ورحم الله من قال من بعض الكمل

حشا الديانة ان تبنى على خبل　　سبحان خالقنا من قول مثبور

ان الحقائق لا تبدو لمبتدع كذا المعارف لا تهدى لمغرور
تالله لو ابصرت عيناه او ظفرت يمناه ما ضل في ظن وتقدير
حقق ترى عجباً ان كنت ذا ادب ولا يغرنك الجهال بالزور
ان الطريقة في التنزيل واضحة وما تواتر من وحي ومشهور
فافهم هديت هدى الرحمن واهدِ به هدى يفيدك يوم النفخ في الصور

واعلم ان ربقة الشرع المحمدي لا تنحل عن رقاب المكلفين ما دام التمييز العقلي موجوداً فيهم ٠ والسادات الصوفيه ما بلغوا اعلا المقامات ونالوا اكمل الدرجات الا باستعمالهم الادوية التي جاءت بها الرسل عليهم السلام على الكمال فانهم ما وصلوا الى ما وصلوا اليه الا بمثافنتهم على الاوامر الشرعيـة واتباعهم خير البرية عليه السلام ومحافظتهم كل المحافظة على الاقتداء به واتباعهم سننه وكثرة الاذكار والمراقبة للعزيز الجبار واعراضهم عن المكوَّنات جملة في جميع اوقاتهم وازمنتهم وساعاتهم وفنائهم في محبوبهم وعن انفسهم وعن العالم باسره يقول سلطان العاشقين الامام ابن الفارض رضي الله عنه

ولو خطرت لي في سواك ارادة على خاطري سهواً قضيت بردتي

وقال الآخر:

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت الى محبوب اول منزل
ونادت بي الاشواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

فالقوم رضي الله عنهم احبهم سيدهم واجتباهم وقرَّبهم لحضرته

واصطفاهم واعطاهم من فضله مااعطاهم وسقاهم من زلال رضوانه مابه تاهوا فافتخروا بما نالوه من القرب من سيدهم وتباهوا وطربوا بما حصل لهم من المشاهدة وانبسطوا وحظوا بثنائه عليهم فغبطوا وما حصل لهم ما حصل من رفع الدرجات والمقام ، الا بالمتابعة التامة لسيد الوجود عليه السلام ، وملازمتهم لشرعه الشريف ، واتباعهم منهجه المنيف ، وعدم غفلتهم عن الله تعالى وكثرة ذكرهم له آناء الليل واطراف النهار ، واعراضهم عن جميع المكونات وصيرورتها في عيونهم وقلوبهم كانها اموات ، فقيدة الحس والحياة ، فهم مع الناس كائنون بائنون ، حاضرون غائبون ، ناظرون لمحبوبهم بقلوبهم وعيون بصائرهم وليسوا عنه غافلين ، لا يلهيهم عنه لاه ، ولا يلتفتون لسواه ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وللسيدة رابعة العدوية رضي الله عنها :

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ... وابحت جسمي من اراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس ... وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي

فالسادات الصوفية رضي الله عنهم لا يتنافسون في شيء من الاشياء الا في قربه ورضوانه ومواصلته وحبه ولا يتوجهون الى غيره فهم الفانون في محبوبهم كل الفناء الناظرون اليه بابصارهم وبصائرهم :

تمنيت من ليلى على البعد نظرة ... لاطفي جوى بين الحشاوالاضالع
فقال نساء الحي تطمع ان ترى ... بعينيك ليلى مت بداء المطالع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها وما طهرتهـا بالمدامع
وتلتذ منها بالحديث وقدجرى ... حديث سواها في خروف المسامع

وحالة الكاملين مع سيدهم لا يذوقها غيرهم الا اذا اقتدى بهم وفعل فعلهم لانها من الامور الوجدانيات التي لا يترجم عنها لسان ، ولا تدرك الا بالجنان ، ولو اراد ان يبينها المتكلم غاية البيان فعلى من هو غارق في بحر الشهوات ، واعتمت قلبـه الشبهات ، وعظيم الغفلات ، ان يسلم لهم رضي الله عنهم كلامهم اذا سمعه ولم يفهمه او قرأه في كتبهم ولم يذق له طعماً ولم يصل اليه بعقله القـاصر ، وذهنه الفاتر ، وجميع احوالهم . او انه يداوم على استعمال ما استعملوه من المجاهدات وشديد الرياضات لعل الحق تعالى ان يرحمه ويطلعه على ما اطلعهم عليه من المخبئات ويخرجه من مطمورة الجهل بسبب تسليمه لاولئك السادات وبحسن الاعتقاد ويوقظه من سنته وعظيم غفلته ويزيل عنه الرقاد ولا ينكر عليهم اذا صدر منهم ما ينكر ظاهره الا ما لا يحتمل التأويل بوجه من الوجوه فانه ورد احمل اخاك على سبعين محملاً . فينبغي لنا اننا متى استقرينا احوال الشخص فوجدناها على اتم منهاج ان نسلم له حاله وقاله ولا ننكر عليه شيئاً اصـلاً واذا

صدر منا انكار والحالة هذه فانما هو صورة انكار لا انكار حقيقي رفقاً بجال العوام وسداً للذريعة بحفظ مقام الشريعة ورعاية للطريقة الفقهية التي هي اسد بجال العوام خشية ان يلبس عليهم بعض الملبسين من دجاجلة الوقت وزنادقته المدلسين٠ قال الامام ابو بكر العربي رضي الله عنه اذا ثبتت عدالة المرء فليترك وعمله٠ وقال العارف بالله الشيخ احمد زروق رضي الله عنه لا ينكر على الفقير الا المحرَّم المجمع على تحريمه ٠ وقالت الفقهاء جميعاً رضي الله عنهم شرط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان يكون المنكر مجمعاً على تحريمه كما نبه عليه اهل الاصول او يكون مدرك القول فيه بالحلية ضعيفاً جداً فان استوى الطرفان ارشد فاعله الى الترك برفق ليس الا٠ على ان حال الصادق لا يخفى كما ان حال المبطل المدلس الساري في اودية الضلال والهفا لا تخفى فان الحال يدركه كل متأمل بادنى التفاتة كما قيل :

دلائل العشق لا تخفى على احد　　الا على اكمه لا يبصر القمرا

كما ان حامل المساك لا يخفى على احد الا على من بمشامه زكام منع حاسته من الشم اللهم افتح مشامنا لما عندك من الطيب كما فتحت للكمل من اصفيائك وخواص احبابك واوليائك ٠ واعلم ان ميزان الرجال عندنا هو المتابعة لسيد الوجود قولاً وعملاً والتخلق باخلاقه الكريمة التي هي العنوان على كمال الانسان وشرفه وعلى عراقة اصله

فانه اذا طاب اصل المرء طابت فروعه واذا تنور القلب حسن جنده وجموعه . والاخلاق التي كانت مشتملة عليها الذات الشريفة عليها السلام هي الدين والعلم والصبر والحلم والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة للخلق وحسن الادب مع الله ومع الخلق وحسن المعاشرة . وهذه الاخلاق المنيفة والاوصاف الشريفة كانت مجتمعة فيه على الكمال صلى الله عليه وسلم غريزةً في اصل نشأته جبلية في ذاته الشريفة الطاهرة وقلما يجتمع في الشخص الواحد ثلاثة منها او اربع على الكمال ثم قد يروض بعض الاشخاص ذاته الجموح ويتعب نفسه نهاية التعب لكي يتخلق ببعضها ويشيع امره عند الناس بسببها تطبعاً لا طبيعة . وسيد الوجود عليه السلام قد اكمل الحق تعالى خلقه وخُلقه ثم بعثه ليتمم مكارم الاخلاق وامرنا باتباعه وبالاهتداء بهديه والاقتفاء بسننه ورشده وبالتخلق باخلاقه الكريمة ليحصل لنا الكمال البشري وناهيك في وصفه وتنويه قدره قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فما بقي بعد هذا المدح مدح ولا شهادة اعظم من هذه الشهادة فانها من الملك الحق المطلع على السرائر، وما تكنه الضمائر . وقد جعل الحق تعالى هذا النبي الكريم جامعاً لسائر اوصاف الكمالات ولله در من قال في وصفه عليه السلام

واجملُ منك لم ترَ قطُّ عينٌ ... واكمل منك لم تلد النساءُ
خلقتَ مبرَّأً من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاءُ

وقال الامام الابوصيري رحمه الله ورضي عنه :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بماشئت مدحاً فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ماشئت من شرف ... وانسب الى قدره ماشئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له ... حدٌّ فيعرب عنه ناطقٌ بفم

وقال العارف بالله الامام عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه في وصفه:

مرآة معنى الحسن مظهر ما علا ... مجلى الكمال عُذيّبُ الينبوعِ
قطبٌ على فلك المحاسن شمسه ... لا آفلاً ما زال ذا تطليعِ
كل الكمال عبارة عن خردل ... متفرّق من حسنه المجموعِ

وقال الآخر :

وعلى تفنن واصفيه بحسنه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وقال الآخر :

لا يدرك الواصف المطري خصائصه ... وان يكن سابقاً في كل ما وصفا

وقال الآخر:

محمدُ ساد الناس كهلاً ويافعاً ... وساد على الاملاك ايضاً محمدُ
محمدُ كل الحسن من بعض حسنه ... وما حسن كلّ الحسن الا محمدُ
محمدُ ما احلى شمائله وما ... الذَّ حديثاً راح فيه محمدُ

واعلم ان الانسان لا يكمل ولا يشرف ولا يعدّ انساناً الا بتخلقه باخلاقه عليه الصلاة والسلام الاخلاق الطاهرة الملكية ، وبالتباعد عن الاخلاق الخسيسة البهيمية ، حيث لا فرق بين الآدميين الاّ بالعوارض الجمالية او الجلالية ، اذ بها يعلو الآدمي وبها يسفل . واما باعتبار الارواح فان جميع الناس فيها متساوون ولا تباين بينهم الا بالعوارض . وذلك لأن منشأ الجميع الروح الكل وهو مع شرفه ونهاية علوّه ان تعلقت جزئياته بمظهر قابل للكمال فيكون ذلك المحل شريفاً او بمظهر ومحلّ غير قابل للكمال فيكون خسيساً وهي هي وذلك شبه ماء نيسان فانه ان نزل في فم السمك يصير لؤلؤاً وان نزل في فم الحيات يصير سماً ناقعاً وهو شيء واحد وانما حكم عليه المحل ، ولذا يقول بعضهم :

والروح كالريح ان مرّت على زهر	تزكو وتخبث ان مرّت على الجيف
وليس تحكم في جسم تكون به	الاّ على مقتضى ما فيه فاعترف
وانما هي من امر الاله اتت	في خسه هي في جسم وفي شرف
فتارة في شقاء منه قدّره	ربي وطوراً سعيداً غير منصرف
فالجأ الى الله ان رمت النجاة به	واسلك سبيل اولي التقوى ولا تخف

واعلم ان جميع ما قالته السادات الصوفية رضي الله عنهم في حق الحق تعالى كلام حق ، وقول صدق ، بيدَ ان من لا معرفة له بقواعدهم واصطلاحهم قد ينزل كلامهم على ما يعطيه فهمه هو منه فيفهم منه

تارةً الحلول وتارة الاتحاد وقد قدمنا انهما محالان وممتنعان بالبداهة والبرهان والاتحاد اقبح من الحلول فاذا امتنع الحلول امتنع الاتحاد من باب اولى يقول العارف بالله ابو العباس احمد تاج الدين الشريشي في رائيته المشهورة متبرئاً منهما رحمه الله تعالى ورضي عنه :

وان اعتقاد الاتحاد جهالة فسل عنه من يدريه ان كنت لا تدري
وان اعتقادات الحلول ضلالة اذا لم تكن كفراً فلا تخلو من كفر
فليس يجيز الاتحاد بربه سوى فاقد للعقل او جاهل غمر
وليس يحلُّ الحادثات منزَّه عن النقص والتغيير فاهجر ذوي الهجر

وقال العارف بالله تعالى الشيخ عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه في عينيته المشهورة :

تنزَّه ربي عن حلول بقدسه وحاشاه ما بالاتحاد مواقع
ومهما تحلُّ الروح جسماً فانها لتصوير ذاك الجسم في الصور تابع
ويتبعها في نصبها وارتفاعها وتتبعه ان جرَّ يوماً طبائع
فان قويت بالتزكيات رقت به الى المركز العالي الذي هو واقع
وان ضعفت واستقوت النفس والهوى تكن تبعاً للجسم ان قام مانع
فتشقى به في سجن طبع وان رقت به كان مسعوداً وفي العز راتع

وتارة يفهم بعضهم من كلامهم رضي الله عنهم انهم ينفون الموجد للعالم جل جلاله جملة واحدة وانه ليس وراء العالم مدبر يدبره لقولهم ان المخلوق هو عين الخالق . وهذا كفر صراح ، وكلام منكر ليس بمباح ، وتوهمٌ فاسد ضل به من توهمه من عبارات السادات وتزندق بواح ،

وعباراتهم في كتبهم لا تعطي ذلك عند من فهمَ اصطلاحاتهم ومقصودهم واعتباراتهم ثم جاءَ من لم يفهم معنى كلامهم من قلبه مصدوع ، وصار يذكر ذلك وامثاله ويتبجح به في المحافل والجموع ويلقيه بين الخواص والعموم . مع ان الشرع المحمدي لا يجوّز له ذلك ولا يسوغ له التمشدق بما هنالك ، وجعل يقول ان الصوفية يعتقدون ان لا وجود للاله الا هذه الموجودات ليس الا اذ هي عينه . وهذا القول منكر كل انكار ، موجب للهلاك والدمار ، ظاهر الفساد ، منبوذ عند ذوي العقول الكاملة من العباد ، لا يلتفت اليه ولا يصغى لقائله لأنه قد استحوذ عليه الشيطان وابعده عن جماعة الدين الصحيح المحمدي واهل الايمان . فالصوفية رضي الله عنهم احوالهم وافعالهم لا يتصور ان تناقضها اقوالهم اذ هم الحاثون كلَّ الحث على الطاعات والتزام العبادات والمجرون دائمًا على السنتهم ذكر الله والمنصوب بين اعينهم مخافة الله والمستقر في افئدتهم قول من قال :

الزم الخوف مع الحز ن وتقوى الله تنجح
واترك الدنيا جميعاً ان تقوى الله ارجح
واقرع الباب اليه فلعلَّ الباب يفتح

ولا يلتفتون الى الهذيان فيحرم النطق بالكلام المتقدم على من لم يفهم اصطلاحهم لما يعطيه ظاهر ذلك اللفظ وفحواه من الفساد . ومن بشاعة

التلفظ به وفظاعة النطق به . فمن فهم مثل ذلك من كلامهم واعتقد ان ما نقله هو اعتقادهم فقد ضل وحاد عن الصراط المستقيم فتكون مطالعة كتبهم المشحونة بالحقائق عين الضرر عليه : كيف وهم القوم اليقظى والحزب المفلح الارضى والجماعة الكاملون الملتفتون الى عبادة سيدهم ومولاهم والطالبون رضاه في علانيتهم ونجواهم وهم السادات المعطون للالوهية حقها وللربوبية مستحقها المتأدبون بآداب الحق تعالى والمتلذذون بجماله والخائفون من قهره وجلاله والمتذللون لعزه وسلطانه والمتحققون بآية ان كلُّ من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً لقد احصاهم وعدَّهم عدًّا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا . يقول قائلهم رضي الله عنهم

اعط المعية حقهـــا ‏ ‏ ‏ والزم له باب الادب

واعلم بانك عبــده ‏ ‏ ‏ في كل حال وهو رب

ومقام العبودية لم يعطه حقه على الكمال الاَّ خواص الرجال الكاملين من اولئك السادات رضي الله عنهم وهو اعلا المقامات ولذا وصف الحق تعالى انبياءه وخلص اصفيائه به في مقام التفخيم والتنويه والتعظيم . قال العارف ابن عطاء الله رضي الله عنه اعلم ان اجل مقام اقيم فيه العبد مقام العبودية . وكل المقامات انما هي كالخدمة لهذا المقـــام والدليل على ان العبودية اشرف مقام قول الحق سبحانه

وتعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا، وما انزلنا على عبدنا، رحمة من ربك عبده زكريا ، وانه لما قام عبد الله يدعوه · ولما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ان يكون ملكا او نبياً عبداً اختار العبودية له تعالى وفي ذلك ادلُّ دليل على انها افضل المقامات واعظم القربات يقول القائل

ادب العبيد تذلل   والعبد لا يدع الادب
فاذا تكامل ذله   نال المودة واقترب

وقال امام العارفين وسلطان المحققين الامام محي الدين بن العربي رضي الله عنه

اذا صحت عبودة كل عبد   تصح له السيادة في الوجود
فيحكم مثل سيده ويبدو   عليه بذاك اعلام المزيد
ويخبرنا لسان الحال عنه   بان الامر فيه مع الشهود
له تعنو الوجوه اذا تبدى   كما عنت الملئكه بالسجود
فيسمو ذلة ويذل عزًّا   فيدعى بالمراد وبالمريد

وما ينال الانسان اسمى المقامات الا بثبات قدمه في مقام العبودية وشديد المجاهدات وادمان الرياضات والاعراض عن المكونات والتقرب اليه تعالى بانواع الطاعات وعظيم القربات · لا يزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع

به وبصره الذي يبصر به ورجله التي يمشي عليها ويده التي يبطش بها . واذا احب الحق تعالى عبده صيره اكسيرًا تنقلب بنظرة من نظراته الاعيان و يزهو بوجوده الكون والملوان . فالشخص اذا انجلى قلبه بالرياضات وكثرة الذكر وادمان الفكر ساد السيادة التامة المطلقة العامة وبدت عليه لوائح القبول بين الناس عامتهم وخاصتهم والبس ثوب الجمال والبهاء والكمال وذلك لصقالة قلبه وتعلقه في جميع اوقاته بربه وعلا شأنه وتنوَّر كونه و بزغت شمسه ونما غرسه وذهب نحسه فهنيئًا له بما نال من منح الكبير المتعال اذ قد انطبعت في قلبه لتنوُّره الامور الغيبية والاشياء الملكوتية والعلوم الوهبية وظهرت عليه آثار الالوهيه يقول العارف بالله الشيخ الاخضري صاحب السلم في منظومته في الادب رضي الله عنه

حتى اذا صحت سماء القدس ... بطرد مركوم سحاب النفس
حينئذٍ تبدو شموس الغيب ... مشرقة بعرصات القلب
وانطبعت في صور المرآة ... صور الاشيا الملكوتيات
وزخرفت حدائق القلوب ... بثمرات الكشف والغيوب
ووابل الاسرار بالقلب انسجم ... وانفجرت منه ينابيع الحكم
فالقلب سر الله فى الانسان ... وعرشه المحيط بالاكوان
والقلب من عرش السماء اكبر ... وذاك معنى فى الحديث يذكر

اعنى حديث الوسع للتجلي　　فاعرف مقام قلبك الاجل
والقلب مشكاة التجليات　　مهما خلا من جملة الآفات
والقلب كنز من كنوز الله　　وفيه باب ملكوت الله
والقلب من عجائب الرحمن　　اودعه في عالم الابدان
في الروح باب الحضرة القدسية　　تحجبه العلائق النفسية
وانما يفتح بالاذكار　　لحازم بالليل والنهار

فالرجل كلّ الرجل من سعى في غسل قلبه من الادران لكي يتنور بلطائف العرفان · ورد في الحديث النبوى الاَ ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب · وبذل جهده في تكميل نفسه لا في تزويق جسمه وحسه وفيما يدنيه من ربه وينيله نهاية قربه لا فيما ينمو به الجسد وتزيد به القوة والمدد · واعلم ان النفوس الآدمية من حيث هي خلقت مهيأة لقبول استعداد ذواتها للفطرة الاسلامية والدين الحق ولكل خير ومتشوفة للكمال لكونها وجدت من معدن واحد وهو المعدن الجامع وانما عاقها عن كمالها عوارض عرضت لها بعد اتصالها بالجسم وتعلقها به · ودليل ذلك حديث كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهوّدانه او ينصرانه او يمجسانه وذلك شبه الذهب المعدني فانه بالنسبة الى جميع المعادن الارضية شيء واحد وانما الارض التي حل

بها غيرته الى الحديدية او الرصاصية مثلاً فان السر الالهي الذي ينزل
من الغيب على الارض مع الضباب هو شيء واحد ينزل طالباً
للذهبية · ثم انه ان صادف ارضاً طيبة جداً قلب ترابها ذهباً
وان كانت دونها في الطيب فانه يقلب ترابها فضة · وان كانت غير
طيبة فان ترابها ينقلب نحاساً او حديداً او رصاصاً او كبريتاً او غير
ذلك على حسب الاستعداد · ثم ان وجد الطبيب الماهر العارف
بالامراض وبما يزيلها عالجها بالادوية الى ان تزول امراضها ويرجع
ذلك المعدن الى ذهبيته كما هو معروف لدى ارباب الاكسير والكيمياء
وان لم يوجد طبيب بقي على حاله · وكذلك النفوس فانها وجدت
طالبة للكمال مستعدة له وانما عاقها عن كمالها عوائق اوجبت لها
الانحطاط · ثم انها ان صادفت مرشداً كاملاً وطبيباً عارفاً بالامراض
القلبية وانقادت اليه كل الانقياد فان ذلك الطبيب يزيل عنها
امراضها التي اعترتها وعاقتها بسبب تعلقها بالجسم واوجبت انحطاطها
ونزولها الى اسفل · وان لم تصادفه او صادفته واعرضت عنه ولم
تطلب زوال امراضها بقيت عللها معها الى نزول هازم اللذات ومفرق
الجماعات · وعند ذلك تعظم حسرتها وتدوم كربتها نسئل الله تعالى
ان يزيل امراض قلوبنا بمنه وكرمه · واغلب الناس معرضون عن
زوال امراض نفوسهم غافلون عن ذلك كل الغفلة ساعون كل

السعي في خدمة الاجسام الا القليل النادر ورحم الله من قال

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته اتطلب الربح مما فيه خسران
اقبل على النفس فاستكمل فضائلها فانت بالنفس لا بالجسم انسان

وفي الحديث النبوي الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولو تنبه الانسان لاستغرق جميع اوقاته في الطاعة يقول الشيخ الاكبر رضي الله عنه وارضاه

يا نائماً كم ذا الرقا د وانت تدعى فانتبه
كان الاله يقوم عنك بما دعا لو نمت به
لكن قلبك نائم عما دعاك ومنتبه
في عالم الكون الذي يرديك مهما مت به
فانظر لنفسك قبل سيرك ان زادك مشتبه

ورد في الحديث النبوي اغتنم خمساً قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك واياك ان تكون من العوام الذين هم من قسم الهوام وسوائم الانعام ورحم الله القاضي ابا الوليد الباجي حيث قال

اذا كنت اعلم علماً يقيناً بان جميع حياتي كساعه
فلمْ لا اكون ضنيناً بها واجعلها في صلاح وطاعه

فالعاقل الموفق من اشتغل بما يعنيه وعلق قلبه بالحق تعالى وبما يرضيه

وبما الى حضرته القدسية يدنيه ليحظى بقربه ويعد من حزبه فينيله سيده ومولاه نهاية مرضاته ويكفيه جميع مهماته ومالماته ويجعل قلبه محلاً لتوارد نظراته ومستقراً ومحطاً لنزول اسراره وتجلياته · فعليك ايها المتعطش اللبيب بالتشوق الى الحبيب بكلياتك وجزئياتك وبتفريغ قلبك من جميع الشواغل اليه ليمنّ عليك بما لديه · ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم · اوحى الله تعالى الى سيدنا ابراهيم عليه السلام ان يا ابراهيم انت خليلي وانا خليلك فانظر في ان لا تشغل سرك بغيري وانا انظر في سرك فاراه مشتغلاً بغيري فنقطع خلتي عنك لان الصادق في دعوى خليلي من لو احترق بالنار لم يجعل سره الى غيري اجلالاً لحرمتي وكل سر انفصل ساعةً عن مشاهدتي لا يصلح لمحادثتي ونظري · ولذلك لما ابتلي بما ابتلي به ورُمي في النار بالمنجنيق لم يجزع وعلق قلبه في تلك الحالة بربه وفوض امره اليه ولم يسئله بلسان القال بل بلسان الحال ، وقال لجبريل عليه السلام لما قال له اسئل ربك: علمه بحالي يغني عن سؤالي · وعند ذلك شرّفه بالخلة وجعله من الاكابر الاجلة ، وقال للنار كوني برداً وسلاماً عليه فكانت · وكذلك كل من علق قلبه بمولاه ، في جميع اوقاته وفي علانيته ونجواه ، يجعل نار الدنيا وشهواتها ، وجميع فتنها برداً وسلاماً عليه · فيجب على الانسان ان يعلق قلبه بالله ، ويعرض

عما سواه، قال عليه السلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك اذا سألت فاسئل الله، واذا استعنت فاستعن بالله، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك لم يضروك الا بشيء كتبه الله عليك رُفعت الاقلام وجفت الصحف. فالكمل رضي الله عنهم ما نالوا الذي نالوه الا بالمحافظة على الحدود الالهية المحافظة التامة مع صفاء القلب وتعلقه بالرب، وجمع الهمة، وصدق النية، وصفاء الطوية، والمثابرة على الخدمة، ودوام الحضور مع الحق تعالى ومراقبته ونهاية المجاهدة طلباً للتقرب اليه والتوصل لرضاه، وجميل مشاهدته، ومواددته ومواصلته. يقول قائلهم

أنلنا مع الاحباب رؤيتك التي   اليها قلوب العارفين تسارع

قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. وساداتنا الصوفية رضي الله عنهم لتمام تيقظهم، وذهاب نومهم، وزوال غفلتهم، دائماً يجول في خواطرهم، قول من قال، واحسن في المقال

من فاته الوصل منك حظه الندم   ومن تكن همه تسمو به الهمم

وناظر في سوى مرآك حقَّ له   يقتص من جفنه بالدمع وهو دم

والسمع ان جال فيه من يحدثه   سوى حديثك امسى وقرَه الصمم

فما المنازل لولا ان تحل بها   وما الديار وما الاطلال والخيم

لولاك ما شاقني ربع ولا طلل ولا سعت بي الى نحو الحمى قدم
في كل جارحةٍ عين اراك بها مني وفي كل عضو بالثناء فم
فان تكلمت لم انطق بغيركم وكل قلبيَ مشغول بحبكم
اخذتموني مني في ملاطفة فلست اعرف غيرًا مذ عرفتكم

فهنيئًا لهم بما وجدوا من طيب الوصال ، ومن التأنس بمناجاة سيدهم في الليالي الطوال ، ومن التشوق لافاضة الاسرار ، ومواهب الانوار :

هم الناس المشار الى علاهم لهم دون الورى كل التعالي
حظوا بالذات والاوصاف طرًّا تعاظم شانهم في ذي الجلال
فطورًا بالجلال على التذاذ وطورًا بالتلذذ بالجمال
سرت لذَّات وصف الله فيهم لهم في الذات لذّات عوال

وقبلها هذه الابيات :

الا ان الوجود بلا محال خيال في خيال في خيال
ولا يقظان الا اهل حق مع الرحمن هم في كل حال
وهم متفاوتون بلا خلاف فيقظتهم على قدر الكمال

فلا حياة الاَّ حياة ساداتنا الصوفية رضي الله عنهم ولا وقت الا وقتهم ولا مناجاة الا مناجاتهم ، ولا عبادة على الحقيقة الا عبادتهم ، فانها العبادة الحقيقية الخالية من الحظوظ النفسانية الدنيوية والاخروية ، المكتنفة بالمراقبة والخشوع ، والحضور والخضوع ، وبالتذلل والمشاهدة لمن

يعبدون ، وجمع الهمة لمن يقصدون ، مع كمال الاخلاص ، والغيبة عن الناس وتمام الاعراض عما يلقيه الخناس من عظيم الوسواس . والايهام والالباس ، ليقطعهم بذلك عن مطلوبهم ويصدهم عن محبوبهم ونهاية مرغوبهم وما كل من تعبد هو متعبد ولا من تعاطى الارشاد مرشد

ليس التكحل في العينين كالكحل ولا البطالة مثل الجد في العمل

فعلى من اراد الكمال ليحظى برتبة القرب من سيده والوصال ويعد من الرجال ان يستعمل ما استعمله الكمل من المجاهدات وان يقتدي بهم في جميع المعاملات ويمشي على منهجهم ويسلك سبيلهم بالمحافظة على الشريعة المطهرة المحمدية ويتبع آثار النبوة المرضية وان يبذل مجهوده في طلب طبيب عارف بالادوية وبالداءآت القلبية . ليزيلها عنه بالكلية وهي عسيرة الزوال الا على من وفقه الله تعالى ونور قلبه واراده لخدمته . ولا يظن ظان ان ذلك الطبيب مفقود في الوقت فان الزمان لا يخلو من كمل الرجال ومن طلب وجدّ وجد ولولا وجودهم لهلك العالم باسره اذ بهم يرفع الله تعالى البلاء عن الخلق وبهم تنزل الرحمة على العباد وتخصب البلاد فتخضر الهضاب منها والوهاد وربما كانت اشارة الحق تعالى اليهم بقوله والجبال ارساها متاعاً لكم ولأنعامكم كما ارساها بالجبال الراسيات ولولا ذلك لمادت

الارض فهلكت العباد • فالكمل هم الجبال الراسيات والاطواد الشامخات •
ثم ان الطبيب المفتش عليه والمتعطش اليه قد يكون معك او تبايعه وتشاريه
ويجالسك في المجالس ولا تلتفت اليه وربما سخرت به لعدم معرفته بالاداب
الوقتية والامور السياسية والكلمات النفاقية ولكونه مغموراً بين الناس
وموافقاً لهم في الانسانية وفي جميع الامور العادية وهو في باطنه مطمئن
البال بمولاه منعم بما منّ به عليه واسداه مشغول اللسان بالذكر والقلب
بالفكر على الدوام ولا يشعر به احد من خلانه واصحابه وجيرانه ولا
يعرفون مقامه ولا ما هو منطو عليه من الاسرار وسنيّ الانوار المفاضة
عليه في يقظته ومنامه وجلوسه وقيامه وظعنه وقراره

ليس الخمول بعار على امرئ ذي جلال
فليلة القدر تخفى وتلك خير الليالي

وتارة يكون شديد الخمول جداً لما يظهر عليه من الفقر المدقع وعظيم
الاحتياج و بسبب ذلك لا يؤبه له ولا يبالى بشأنه لفقره الفادح
وتمسكنه القادح في ظاهر الحال او لاتصافه بالأمية • وقد يكون
ذا منصب عظيم وجاه عريض عميم فيخفي الله امره وحاله بذلك بحيث
لا يظهر عليه شيء من منصبه الباطني اصلاً ولا يضره اذا كان فقير
الحال عدم التفات الخلق اليه لانه منعم الباطن بما اسداه اليه سيده
ومولاه من جنة الشهود المغنية له عن السلطنة والملك فضلاً عن غيرها

على ان اولياء الله الكمل يحافظون المحافظة التامة على ستر حالهم واخفاء ولايتهم. قال محمد بن علي الترمذي الحكيم: الولي دائماً وابداً في ستر حاله والكون ناطق بولايته ومدّعي الولاية ناطق بولايته والكون يكذبه اه يقول الشاعر

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

وقال بعضهم روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها وتظهر عليهم دلائلها وان اخفوها، وترشد اليهم وان ستروها

تضوع ارواح نجد من ثيابهم عند القدوم لقرب العهد بالدار

وفي الحديث النبوي من اسرَّ سريرة البسه الله رداءها والربوبية لا تخلع جميل ثوبها الا على من تحقق بمقام العبودية وانصبغ بسرها اللهم البسنا لباس التقوى والطاعة بجاه سيدنا محمد عبدك ورسولك عليه السلام فالسادات رضي الله عنهم لما رأوا شدة الظلام في وقتنا هذا وشدة اعراض الناس عن الله تعالى والتفاتهم كل الالتفات للدنيا استتروا غاية الاستتار ولم يظهروا بكرامة ولا بشيء مما هم عليه في بواطنهم المنورة ونحن نعلم قطعاً انهم موجودون بين اظهرنا ولكنهم استتروا كل الاستتار بالامور العادية والاشياء الشهادية عن اعيننا خشية ان نحول بينهم وبين مطلوبهم بطلبنا الامور الدنياوية ونشغلهم بذلك عنه وحاشاهم ان يشغلهم شاغل عنه اللهم اننا نسأَلك

ونتوجه اليك بنور وجهك الكريم وجاه نبيك العظيم سيدنا محمدعليه السلام وبجميع اسمائك وكلماتك التامة ان توجه همة واحد منهم الينا لياخذ بايدينا فتنشلنا بنظرة منه من اوحال التوحيد وتغرقنا في عين بحر الوحدة الذاتية وتجذبنا بتلك النظرة اليك مع تمام التوكل وشدة المحافظة على الشريعة المطهرة وان تجعلنا من ارباب العنايات ٠ واولي الحظوظ الوافرة والسعادات ٠ الذين اغنيتهم عن شديد المجاهدات ٠ واجتبيتهم بلا عمل خير فعلوه ، ولا صالح قدموه ، وانما اسديت اليهم ما اسديت لعظيم المنة، لا لكثرة المجاهدة والخدمة فانك انت الجواد الكريم البر الرؤف الرحيم ٠ واعلم ان من سار في الطريق فلا بد ان يصل الا اذا لم يكن له دليل فلربما ضل وتاه عن الطريق وانقطع ولذلك قيل

ومن سلك الطريق بلا دليل   الهي فقد طاب المحالا

اذ قلّ ان يفتح على الشخص بلا مرشد بان يجتبيه سيده ويجعله من عبيد المنة ويتولى حسن تربيته وارشاده من غير واسطة شيخ ولا معاناة مجاهدة وانما ينظر الحق تعالى الى قلبه فيجده في غاية الصفاء والتهيؤ لما يلقيه في باطنه من الاسرار فيفيضها عليه على طريق الجذبة بل ربما منحه ذلك وهو في حال غفلته والتذاذه بشهوته ٠ فتهب عليه نسمة من رياح الكرم والفضل السابقية فتوقظه من نومته ٠ وتفيقه

من سكرته ، وفي لمحة تقع الصلحة . غير ان هذا قليل جداً والغالب لا يكون الفتح الا على يد شيخ كامل ولذلك قيل :

وغنم مريد في انقيادٍ لكامل   له خبرة بالعلم والوقت والحال
هو الكنز والاكسير والكيميا لمن   اراد وصولا او بغى نيل آمال

ولذلك الطبيب المتعطش اليه ، والمرشد الكامل المعول في الوصول عليه ، علامات فعلامته الواضحة شدة المحافظة على الشريعة المحمديه . والطريقة المرضية المصطفوية . والشريعة هي فعل المأمورات واجتناب المنهيات . والطريقة هي تتبع الافعال المحمدية الشريفة والعمل بها ويقال هي الاخذ بالاحوط من المامورات . وترك المنهيات والاقتصار على الضروريات من جميع المباحات . والاقتصار على ذلك انما هو في ابتداء الامر وسلوك الشخص في الطريق زمان المجاهدة لا دائماً ولذلك نجد السادات الكمل يتنعمون بعد الفتح الكبير بالطيبات من انواع المباحات لاستيلائهم على نفوسهم وصيرورتها تحت قهرهم واما الحقيقة فهي اسرار الشريعة . وقال بعضهم الشريعة ان تعبده . والحقيقة ان تشهده . وقيل الشريعة اقامة البدن بوظائف الشرع . والطريقة اقامة القلب بحقوق الالوهية والحقيقة مراقبة الربوبية . وعدم الغفلة عنها بالكلية . وقال الشيخ الاكبر رضى الله عنه الحقيقة هي سلب آثار اوصافك عنك باوصافه بانه الفاعل بك فيك منك لا انت

ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اه ونتيجة الطريقة هي علوم ومعارف تحصل لقلوب السالكين بعد صفائها من كدرات الطبائع البشرية بكثرة الاذكار مع الاداب المعروفة عندهم رضى الله عنهم فمن تشوفت نفسه لطلب الكمال فليبحث على طبيب يزيل عنه امراض نفسه الباطنية . وهو الشيخ المرشد الكامل السالك الواصل العارف بالطب الروحاني الماذون له في الارشاد ظاهرًا وباطنًا من شيخه . والطب الروحاني هو العلم بكمالات القلوب وآفاتها وامراضها وادوائها وكيفية حفظ صحتها واعتدالها . فاذا ظفرت ايها المريد بذلك الكبريت الاحمر والكنز الاكبر والنجم الازهر والسر الاطهر فسلم اليه نفسك وانقد اليه كل انقياد والتزم امره ونهيه وكن بين يديه كالطفل بين يدي مرضعه او الميت بين يدي غاسله وقد تكفل الشريشى في رائيته المشهورة بذكر اوصافه وعلامته فقال :

وللشيخ آيات اذ لم تكن له ... فما هو الا في ليالي الهوى يسرى

اذ لم يكن علم لديه بظاهر ... ولا باطن فاضرب به لجج البحر

وان كان الا انه غير جامع ... لوصفيهما جمعًا على اكمل الامر

فأقرب احوال العليل الى الردى ... اذا لم يكن منه الطبيب على خبر

ومن لم يكن الا الوجود اقامه ... واظهره منشور الوية النصر

فاقبل ارباب الارادة نحوه ... بصدق يخلي الهش في جلد الصخر

وآياته ان لا يميل الى هوى ‌ ‌ فدنياه في طيّ واخراه في نشر

وان كان ذا جمع لا كل طعامه ‌ ‌ مريد فلا تصحبه يوماً من الدهر

ولا تسألنْ عنه سوى ذي بصيرة ‌ ‌ خليّ من الاهواء ليس بمغتر

فمن صدئت مرآة ناظر فكره ‌ ‌ ارته بوجه الشمس من كلف البدر

او عثرتَ على من وصف بما ذكر فالزمه فانه الكنز المدفون · وتيقن بان الحق تعالى ارادك وهيأك لفتح باب الطلسم المكنون · واراد ان يطلعك على السر المصون · ولاسيما ان وفقك لقبول كلام ذلك الطبيب والتسليم لما يلقيه اليك · والانقياد اليه · والتعويل عليه · كي يلتفت بقلبه وشريف همته اليك · ويرشدك الى كيفية استعمال الادوية العظيمة الافادة الى ان تصل الى كيمياء السعادة:

اذا اصطفاك لشيء هيأتك له ‌ ‌ يد العناية حتى تبلغ الأملا

وقال :

لو لم ترد نيل ما ارجو وآمله ‌ ‌ من جود فضلك ما علمتني الطلبا

ومتى توجهت نفسك للتقوى ولقبول كلام مرشدك فتيقن ان مخايل السداد قد لاحت عليك وان الحق قد ارادك لخدمته حيث ارشدك للطريق الموصل اليه ولا سيما ان لزمت حسن الادب معه جل جلاله بحيث لا تعترض عليه في شيء اصلا لا قلباً ولا قالباً في جميع ما

تشاهده من تجلياته فتكون عبدا محضاً ظاهر العبودية وحسّن ظنك في جميع مخلوقاته المؤمنين كما قيل

وكل الذي تلقاه فالخضرَ اُعتقد   وكل الليالي فاعتقد ليلة القدر

ومتى صفت نيتك . وتنورت سريرتك . وحسنت سيرتك . وانفتحت لقبول الاسرار بصيرتك . وصلت عند ذلك الى مرادك . فتقصيرك منك ونفعك منك . واعلم ان الحق تعالى اذا اراد بالانسان خيرا وفقه لما فيه نفعه كما انه اذا اراد به شرا اصمه واعمى قلبه وجعله مظهرا للانتقاد وحينئذ فلا ينتفع بمخلوق اصلا كاملا او غيره فقد قالوا لو اعتقد الانسان في حجر انتفع به ، وقالوا افلح من اعتقد وخسر من انتقد . وكل من اكثر من الانتقاد لا يفلح ابدا ويعميه الحق تعالى عن جميع محاسن الناس وعن كل خلقٍ حسنٍ يشاهده وعن كل كلام حسن يسمعه فلا يمكن ان ينتفع به ولا يتجاوز صماخ اذنيه

اذا لم تكن للمرء عين صحيحة   فلا غرو ان يرتاب والصبح مسفر

وفي الحقيقة الكل من الله والموفق يحمده تعالى حيث جعله مظهراً للخير ولم يجعله مظهراً للشر فقد ورد في الحديث النبوي ان الشيطان لقي سيدنا محمداً عليه السلام فقال له سبحان من جعلك مظهراً للهداية وليس بيدك من الهداية شيء وسبحان من جعله هو مظهراً للغواية وليس بيده من الغواية شيء ، فالمخلوق تابع لامره تعالى الارادى

وهو لا تمكن المخالفة فيه اصلا ، لا ظاهرًا ولا باطنًا بخلاف الامر التكليفي فقد يخالف العبد فيه ربه بحسب الظاهر. فالمبتلي يبكي على سوء حظه من سيده ومولاه يقول بعض الكمل على لسان الحضرة الالهيـة

ايهـا المعرض عنا ان اعراضك منـا
لو اردناك جعلنـا كل ما فيك يردنا

وهذا من الامور الواضحة فاننا قد رأينا من لم يرد الله به خيرًا فانه يجمعه بالاولياء او بالانبياء والرسل عليهم السلام ويعمي بصره ويصم سمعه ويطمس قلبه بحيث لا ينفعه ذلك الاجتماع بهم ولا يهتدي بهديهم مع وضوح كمالاتهم وظهورها ظهور نار القرى ليلا على علم فيعميه الحق تعالى عنها بالكلية ، وعن مشاهدة الخوارق العظيمة من الكرامات الظاهرة ، والمعجزات الباهرة ، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور ، ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم الاية ، وما ذاك الا لسوء الحظ وخبث الطوية .

طريق سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنما الاهواء عمّت فاعمت

وما جاء الضرر لمن لم يهتد بالرسل الا من العناد وخوف التأخير وتقدم الامثال والاقران ، قال تعالى في حق سيد الوجود عليه السلام يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ، وان فريقًا منهم ليكتمون

الحق وهم يعلمون ، الحق من ربك . . الاية

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون ، وحقّ عليهم القول بما كانوا يكسبون ، ولله الحجة البالغة ، ولا يضر الرسل عليهم السلام اعراض قومهم عنهم وعدم اتباع اقوالهم وافعالهم اذ ما على الرسول الا البلاغ

ماضر شمس الضحى في الافق طالعة ان لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

والحق تعالى اذا اراد بالانسان خيرا هداه اليه ، ووجه همته لطلبه وهيأ له اسبابه ، وفتح عليه ابوابه ، فجاهد نفسك ايها المريد بكثرة الاذكار ، آناء الليل واطراف النهار ، وتعرض للنفحات الالهية وكن معتمدا على الحق تعالى شديد الحزم مصمم العزم في طلبه بحيث لا يردّك راد ولا يقطعك عن مطلوبك مراد والزم مراقبة الحق تعالى في جميع اوقاتك . وهي استدامة علمك بان الحق تعالى مطلع عليك يرى جميع احوالك وافعالك ويسمع جميع اقوالك . فاذا استدامت لك المراقبة مع ادمان الذكر بدت لك تجليات الحق تعالى المتوالية وتواردت عليك الواردات الالهية والخواطر التي لا تعد ولا تحصى من غير تعمل لك في ورودها ولا تشوف منك جهتها . والخواطر ما يرد على القلب بارادة الرب ثم انها اذا تواردت عليك فاعتبر اولها فانه الهي اذ جميع الاوليات الهيات ولذلك لا يكاد ان يخطىء الوارد

الاولي اصلا وهي منقسمة الى اربعة اقسام وارد الهي ووارد ملكي ووارد شيطاني ووارد نفساني . وذلك لانه اذا ورد بالقرآن العظيم فهو الهي قطعاً قال تعالى وما تنزّلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون . غير ان فهم المراد منه قد يعسر . وان ورد بغيره فزنه بميزان الشرع فان قبله ولم يردّه بان كان بترغيب او ترهيب فهو ملكي وان ردّه فان كان بمعصية اوطاعة تؤل الى كونها معصية فشيطاني . وان كان بشهوة فنفساني . والتجليات ما يكشف للقلوب من انوار الغيوب . ثم ان التجلي ان كان مبدؤه الذات من غير اعتبار صفة من الصفات سمي تجلي الذات . وبعض العارفين ينكره ويقول انه لا يحصل الا بواسطة صفة من الصفات فيكون من قبيل تجلى الاسماء الذي هو قريب من تجلى الصفات . وتجلى الذات هو اكمل التجليات . ويسمى عندهم بالياقوت الاحمر . وان كان مبدؤ التجلى صفة من الصفات من حيث تعينها وامتيازها عن الذات سمي تجلى الصفات وان كان مبدؤه فعلا من افعاله سمي تجلى الافعال فتجلى الاسماء هو ما ينكشف لقلب السالك من اسمائه تعالى . فاذا تجلى الحق على السالك باسم من اسمائه اصطلم ذلك السالك تحت انوار ذلك الاسم بحيث يصير اذا نودي الحق تعالى بذلك الاسم اجاب ذلك السالك وتجلي الصفات هو ما يكشف لقلبه من صفاته تعالى . فاذا تجلى الحق

تعالى على السالك بصفة من صفاته بعد فناء صفات السالك ظهر على ذلك السالك اشارة تلك الصفة بفضل الله تعالى. فاذا تجلى الحق تعالى بصفة السمع مثلا صار يسمع نطق الجمادات وغيرها وعلى ذلك فقس.
وتجلي الافعال هو ما يكشف لقلب السالك من افعال الحق تعالى مثلاً اذا تجلى عليه تعالى بفعل من افعاله انكشف له جريان قدرة الله تعالى في الاشياء فيراه هو المحرك والمسكن والضار والنافع ولا تاثير لغيره اصلا شهودا ذوقياً لا يعرفه الا هو. وقد برقت من هذا التجلي بارقة للجبرية فنفوا الفعل عن العبد بالكلية وقالوا انما هو كريشة معلقة في الهواء تميلها الرياح حسب هبوبها وذلك حيث لم يدركوا الكسب حقيقة يقف العقل عندها لدقة خفائه وشدتها. ولذلك يقال هذا الشيء ادق واخفى من كسب الاشعري، ولعظيم خفائه لم يتادب المذكورون ادنى تاديب مع الحق تعالى ولا ردهم صريح قوله لها: ما كسبت وعليها ما اكتسبت المفصح بان للعبد كسبا حتى تجرأوا على نفيه عن العبد بالكلية. ولحضرة سيدى الوالد رحمه الله تعالى ورضي عنه في بعض القصائد له مشيرا لمسئلة الكسب امطر الحق تعالى على قبره سحائب الرضى والرضوان ومتعه بالنظر الى وجهه الكريم في اعلا الجنان.

فافعالنا مخلوقة لا لها ... ومنسوبة لنا بحكم الشريعة
وتصريفنا في امرنا ظاهر لنا ... ولله منسوب بحكم الحقيقة

مذهب اهل السنة في مسئلة الكسب ان العبد كاسب والله خالق بمعنى ان فعل العبد حاصل بخلق الله اياه عقيب ارادة العبد وقصده الجازم بطريق جري العادة بان الله يخلقه عقيب قصد العبد ولا يخلقه بدونه فالمقدور الواحد داخل تحت القدرتين المختلفتين لان الفعل مقدور الله من جهة الايجاد ومقدور العبد من جهة الكسب وبالجملة فالكسب لا يدرك الا تقليدا لكلام الله تعالى . وتجلي الافعال هو مزلة الاقدام يخشى على السالك فيه لانه ربما يزيغ فينفي الفعل عن العبد بالكلية ويكون جبريا محضا ويرفع الحدود الشرعية والزواجر الالهية اذا لم يؤيده الحق تعالى بتاييد منه ويجعله عبدا محضا فينفي الشيء حيث نفاه الحق تعالى ويثبته حيث اثبته وح فلا يتوجه عليه لوم اذ ذاك . وبالجملة فالناس من نظر اليهم بعين الشريعة مقتهم ومن نظر اليهم بعين الحقيقة عذرهم ولذلك يقول بعضهم

اذا ما رايت الله في الكل فاعلا ... شهدت جميع الكائنات ملاحا

وان لم تر الا مظاهر صنعه ... حجبت فصيرت الحسان قباحا

ولغيره

وحيث الكل مني فلا قبيح ... وقبح القبح من حيثي جميل

وهذا التجلي هو اول رتبة في التجليات وهو حظ صاحب علم اليقين وبعده تجلي الصفات وهو حظ صاحب عين اليقين وبعدهما تجلي

الذات وهو حظ صاحب حق اليقين . فعلم اليقين هو معرفة الشيء بالبراهين الواضحة بحيث لا يتزلزل يقين صاحبه بتشكيك المشكك . وعين اليقين هو مشاهدة تلك الشيء عيانا . وحق اليقين هو مشاهدة تلك الشيء بصرا وذوقا ولا عطر بعد عروس . فعلمك بوجود بغداد مثلا علم يقين اذ قد بلغك وجودها بالتواتر من جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب فاذا سرت نحوها حتى اشرفت عليها وشاهدتها ببصرك فذلك عين اليقين واذا دخلتها وجلت في اسواقها ومشيت بين ازقتها فذلك حق اليقين . فعليك ايها المريد طالب السير والسلوك الى حضرة ملك الملوك ، بالمراقبة لمولاك وكثرة ذكره آناء الليل واطراف النهار ولتكن معتمداً في وصولك الى المراد على يد شيخ مرشد كامل مأذون له في التربية الى ان يفتح لك فترى ما رآه الرجال وتقطع جميع المقامات ويحصل لك علم اليقين ثم عين اليقين ثم حق اليقين . وقطع تلك المقامات انما يحصل لك بعد نزول الذكر من لسانك الى قلبك ثم الى قالبك ثم الى سرك ثم الى روحك ثم الى لطيفتك الخفية ثم الى لطيفتك الربانية وجملتها سبعة عدد النفوس المعروفة عند ارباب التربية من المشايخ العارفين بها وبامراضها . والنفوس منقسمة عندهم باعتبار اوصافها الى سبعة ايضاً وهي متحدة بالذات . متباينة بالصفات والنفس الناطقة هي المسماة عندهم باللطيفة الربانية وهي كلما اتصفت

بصفة اطلقت عليها فتسمى بالأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة وذلك لانها اذا تدنست بالميل الى الطبيعة والركون الى الشهوات والبخل والعجب والكبر وسوء الخلق وغير ذلك من الامور الخسيسة ، والسفاسف الذميمة ، والرذائل النجيسة ، سميت امارة قال تعالى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي . واذا سكنت تحت الامر التكليفي واذعنت لاتباع الحق غير انه بقي فيها بعض الميل الى الشهوات سميت لوّامة . فان زال هذا الميل عنها وقويت على معارضة النفس الشهوانيه وزاد ميلها الى عالم القدس وصفات الجمال وتلقت الالهامات من قبل الحق تعالى سميت ملهمة واذا سكن اضطرابها ولم يبق للشهوات فيها حكم اصلا بان الغتها ونسيتها بالكلية سميت مطمئنة . فاذا ترقت عن هذه المنزلة الى ان سقطت المقامات من عينها واعرضت عن جميع مراداتها سميت راضية . فاذا زاد هذا الحال عليها سميت مرضية عند الحق والخلق فاذا أُمرت بالرجوع الى العباد لارشادهم وتكميلهم سميت كاملة كذا ذكره بعض العارفين رضي الله عنهم ومن طلب تكميل نفسه ليسعد السعادة التامة فليسلك سبيلهم وليمش على منهجهم ولا يترك نفسه هملا فيكون بهيمة في صورة انسان . وذلك ان الانسان خلق قابلا للتربية والترقى مستعدا لجميع الكمالات التي لا يبلغها الملك

المقرب فضلاً عن غيره وان كان في ابتداء خلقته دون الملك وفوق
الحيوان لان الملك جمال صرف وهو خلق جامعاً بين صفتي الجمال
والجلال . فاذا جاهد نفسه حتى زالت صفة الجلال عنه وهي لا
تزول وانما تكمن فقط اذ زوالها محال وذلك لان الصفتين الجلالية
والجمالية غريزتان فيه مركوزتان في جبلته فهما لا يزولان اصلاً
ما دام انساناً . وانما الشخص اذا ملك نفسه وصيرها تحت قبضته حتى
صار يصرف صفته الغضبية في مصارفها الشرعية كالجهاد وحمي الذمار
وانتهاك حرمات الله تعالى اذ لو زالت منه لما تحرك عند ذلك . وكذا
صفاته الجمالية يصرفها في مصارفها المحمودة شرعا فقد كمل عند ذلك
غاية الكمال وارتقى فوق الفوق . ولا ينال الانسان كمال الترقي الا
باتباعه لما شرعه الحق تعالى على لسان رسوله عليه السلام وبسبب
ذلك يعلو فوق الملك الذي هو نور صرف وبمخالفته للحق تعالى واتباعه
لنفسه وهواه يصير ارذل من اخس الحيوانات . وفي عبارة لبعضهم
ان الانسان بسبب اتصافه بصفتي الجمال والجلال اللذين هما صفتان
للحق جل جلاله وصرفه كل واحدة منهما في مصارفها الشرعية عظم
شانه حتى صار فوق الملك الذي هو لم يتدنس بالمعاصي ولا خطرت
له لحظة على بال فاذا راض الانسان نفسه وهذبها الى ان قطع المقامات
التي مر ذكرها ساد سيادة لا سيادة بعدها وتسمى تلك المقامات

بالنفوس المسبعة يقطعها المريد السالك في طريق الله تعالى واحدة بعد واحدة لا المراد فانه يقطعها في مدة يسيرة وهو لا يشعر لكونه صاحب جذبة ينقله مولاه من حضيض الانسفال الى الرتب الغوال بلا تعب ولا نصب لكمال حظه عند سيده ومولاه واجتبائه له وجعله من عبيد المنة المعتنى بهم لا من عبيد الخدمة · وكلا العبدين يستويان في الانتهاء ولا انتهاء في الحقيقة لوسع التجلى · غير ان عبد المنة لا يصلح للارشاد لانه قطع المقامات من غير شعور منه بها فهو لا يعرف دسائس النفوس وعيوبها فهنيئاً له ثم هنيئاً له ثم هنيئاً له فان سيده عامله بالجود لا بالمجاهدة وكثرة الركوع والسجود

واذا السعادة لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن امان

فاصطد بها العنقاء فهي حبالة ... واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وعبد الخدمة يصادف في طريقه عقبات وقواطع فلربما وقف عند تلك القواطع بخلاف عبد المنة فهو في امن وامان من ذلك كله والسير الى الله تعالى صعب جداً لا يستقيم عليه ولا يدوم على ملازمته ناصباً للحق بين عينيه وموجهاً جميع الحواس اليه ثابت القلب مجداً · وفي طلب مولاه مجتهداً ، مصمماً على الظفر به والوصول اليه بحيث لا يطول عليه الامد ، ولا تزعزعه عواصف الابد ، الا ذو همة قوية ، ونفس شريفة زكية ، وصدق كلمي ، وعمل متواصل ، فان ترك

المألوفات من المآكل والمشارب والملابس وجميع الملاذ وطيب المنام وجمع المال وحب الجاه والتقدم على الاقران وسائر الشهوات لا يقدر عليه الا القليل من الرجال ، الجهابذة الابطال ، فان الطريق يصعب المجاز ذات مفاوز ومهامه فيح ، ومهلكات تذهب بالمال والروح ، يضل فيها القطا ، الا بتايد من الله تعالى وسابقية الفضل والجود والاعطا ، والفائز بمطلوبه بهذا الزمان اقل من القليل لعظيم القواطع ، وكثرة الموانع ، ومن كلام سيدنا الامام الشافعي رضي الله عنه

كيف الوصول الى سعاد ودونها قلل الجبال ودونهن حتوف
والرجل حافية ومالي مركب والكف صفر والطريق مخوف

وقد كان السائرون الى الحق تعالى في الزمان المتقدم كثيرين لكون اكثر القلوب كانت متوجهة اليه تعالى جادة في طلبه حقاً وصدقاً فكان الوصول اليه كثيراً . واما في زمننا هذا فان القلوب اعرضت عن الله وتوجهت الى الدنيا وجمع حطامها بأيّ وجه كان فطمس الران القلوب ، وعميت البصائر من كثرة الذنوب ، وادبرت جميع الحواس عن طلب الحق الا ما قل . فالسائرون اليوم الى الحق تعالى لا يطلبونه كل الطلب الا بالسنتهم لا بقلوبهم ومجاهدتهم وكثرة عبادتهم فما مثلهم في طلب الوصول اليه ، ونيل ما لديه ، والحالة هذه الا كمثل من قال تعالى في حقه من عبدة الاصنام المترقبين حصول

النفع منها واستجابتها لهم: والذين تدعون من دونه لا يستجيبون بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغيه وما دعاء الكافرين الا في ضلال ، ولذا كان الواصلون الى المطلوب اقل من القليل لعدم الصدق في الطلب اذ من طلب وجد ّ وجد َ ان سبقت له السعادة من مولاه ، وساعده الحظ ووافاه

خليليّ قطاّع الفيافي الى العلا كثير وان الواصلين قليل
وجوه عليها للقبول علامـــة وليس على كل الوجوه قبول

اللهم اجعل حظنا عندك اوفر الحظوظ وروّنا من زلال التوفيق وارشدنا الى اقوم طريق واحشرنا مع خير فريق بجـــاه سيدنا محمد عليه السلام . فعليك ايها المريد المتعطش بالصدق فى طلب الحق وادمان الطاعات والاحسان في العبادات بحضور القلب فيها والسعي في زوال امراض نفسك بالادوية التي يستعملها العارفون . قال بعضهم مررت ببلاد الغرب على طبيب والمرضى بين يديه وهو يصف لهم علاجهم فتقدمت اليه وقلت له عالج مرضي يرحمك الله فتامل في وجهي ساعة ثم قـــال لي خذ عروق الفقر وورق الصبر مع اهليلج التواضع واجمع الكل في اناء اليقين وصب عليه ماء الخشية واوقد تحته نار الحزن ثم صفه بمصفاة المراقبة في جام الرضى وامزجه بشراب التوكل وتناوله بكف الصدق واشربه بكاس الاستغفار وتمضمض

بعده بماء الورع واحتم من الحرص والطمع فان الله يشفيك من الفزع اه
فعلى من يريد ان يسلك سبيلهم باستعمال هـــذه الادوية وليلتزم
صدق النية وصفاء الطوية والالتجاء اليه تعالى لعله ان يبعث اليه من
غامض غيبه من يرشده من رجال الله الكاملين ويمده باطنـــاً وان
كان بعيدا عنه شاسعاً مكانه عن مكانه او يسوقه اليه ببركة صدقه
ويجمعه به فيرشده ان لم يكن له مرشد كما وقع ذلك لبعض من
صدق في الطلب ومن اجل ذلك قيل

لكن سر الله في صدق الطلب كم رئ في اصحابه من العجب

قال تعالى ان يعلم الله في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا ، وقال عليه
الصلوة والسلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم .
فطهر قلبك، ايها الانسان من الرعونات والزم التشوق اليه واكثر من
من ذكره فانه السبب الموصل اليه فقد قيل ان من اُلهم الذكر فقد
اُعطي منشور الولاية لان ادمانه والمداومة عليه دليل على ولاية
الشخص . قال تعالى اذكروني اذكركم . وقال واذكروا الله كثيرًا لعلكم
تفلحون . وقال والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة
واجرًا عظيما الى غير ما آية . واول الذكر اللساني عندهم كلمة لا اله
الا الله الى ان تتمكن في القلب وتمتزج به . وثانيه الذكر القلبي وهو كلمة
الله الى ان تتمكن فيه كذلك . وثالثه ذكر السر وهو كلمة هو الى ان

تتمكن فيه ايضاً ويصير الذاكر مذكوراً · وذكر اللسان فائدته التطهير عن المذمومات وذهاب الامور الخسيسة عن الانسان وطرد الشيطان واستجلاب الخلال النفيسة الحسان · وذكر القلب فائدته التنوير والاتصاف بالاشياء المحمودة وعدم التصرف بالطبع البشري · وذكر السر فائدته ورود الواردات وتتابع الفيوضات وشهود المغيبات فاذا اتم المريد الاذكار الثلاثة فقد تم له سفر الباطن · والسير من القالب الى القلب عسير كل العسر على غير من لم يرد الله ان يصطفيه لخدمته وهو يسير جداً على من يسره عليه واراده لذلك · ثم بعد ذلك يسافر المريد في الملكوت ويشاهد ما لا يوصف ولا يكيف مما هو مستجن في جميع العوالم الاربع وهي : عالم الملكوت وهو ما غاب عنا من المحسوسات كالجنة والنار والعرش والكرسي · وعالم الملك وهو ما ظهر لنا · وعالم الجبروت وهو عالم الاسرار والعلوم والمعارف · وعالم العزة وهو ما اختص الله به من علم ذاته وصفاته العلية · واعلم ان اعلا الذكر وانفعه ما كان معه الحضور وعدم الغفلة عن المذكور يقول الشبلي رضي الله عنه

ذكرتك لا اني نسيتك لمحة	وايسر ما في الذكر ذكر لساني
فلما اراني الوجد انك حاضر	شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم	ولاحظت معلوماً بغير عيان

ولبعضهم رضي الله عنهم

لئن غبت عن عيني وابعدت عامدا فـانت بقلبي حاضر وقريب
اراك بعين الوهم في مضمر الحشا وليس على عين الضمير رقيب
خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فاين تغيب

فيجب على الذاكر تكلف الحضور حتى يصير له طبيعة ولا يتركه لوجود الغفلة فعسى ان يرفعه الحق تعالى من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظـة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور كما ذكر ذلك العارف ابن عطاء الله رضي الله عنه والذكر تحيى به قلوب البشر كما يحيي الزرع وابل المطر

فسبحـان من احيا الفؤاد بنوره ونوّره بالفكر وقتـاً وبالذكر

والذكر يورث المراقبة الموصلة لمقام الاحسان حتى يصير الذاكر كانه يرى المذكور بالعيان. ولا شيء احسن منه لصقالة القلب · روى البيهقي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شيء صقالة وصقالة القلب ذكر الله وما من شيءٍ انجى من عذاب الله من ذكر الله · وروى الطبراني عن محمد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لربكم في ايام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله ان يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها ابداً · والقلب بمداومة

الذكر يصير بيت الرب وهو باللسان شأن ارباب البدايات وبالقلب شأن ارباب النهايات واذا استولى الذكر على القلب كل الاستيلاء تلاشى صاحبه عند ذلك واضمحل وجوده بالكلية وعند ذلك يظهر له معنى قول من قال من العارفين رضي الله عنهم

بدا لك سرٌّ طال عنك اكتتامه ولاح صباح كنت انت ظلامه
فانت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه

فما حجابك الا منك فجد كل الجد ليرتفع عنك الحجاب وتجالس الاحباب وتزيل سلمى عن وجهها النقاب وذلك لا يحصل الاّ بالذكر مع الحضور اذ ليس للعاشق شأن اشرف ولا اعلا من ذكر معشوقه رجاء وصاله ومشاهدة انوار جماله وجمال انواره · يقول بعض العاشقين

اعد ذكر من اهوى ولو بملام فان احاديث الحبيب مدامي

واذا داوم الانسان الذكر مع الحضور كمل غاية الكمال وتحقق باسماء الله تعالى وصفاته ومعنى تحققه بها انه يشهده فيها فاذا كانت الاسماء جمالية والصفات كذلك اتسع صدره وارتفع قدره فيصير رحيما بشهود سيده كذلك منعماً بجلائل النعم عليه وعلى غيره ويصير كريمًا بشهود الكريم وحليماً بشهود الحليم ولطيفاً ورؤفاً الخ وهو معنى قوله عليه السلام تخلقوا باخلاق الله وذلك فيما يمكن ان يتخلق به منها · واذا شهد الصفات الجلالية والاسماء كذلك كالجبار والمنتقم

والقهار وغيرها تصاغر وتفانى حتى كان بعضهم يذوب عند ذلك ويماع كالملح في الماء . فالعارف دائمًا بين المظهرين تارة يشهد الاسماء والصفات الجلالية فيحصل له ما ذكرناه وتضيق عليه الارض بما رحبت ولذلك قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا آمن مكر الله ولو كانت احدى قدمي داخل الجنـــة ومنه قول الرسل عليهم السلام في المحشر واليوم المهول : نفسي نفسي وذلك لمشاهدتهم مرتبة الاطلاق وتارة يشهد العارف الصفات الجمالية والاسماء الجمالية فيقول انا كذا وكذا ومن ذلك قول بعضهم

والله لولا ان جدي المصطفى سبقت شفاعته لذي الزلات
لوضعت منديلي بباب جهنم وسددته والفضل من عاداتي

فالعارفون تجليهم جمالي وجلالي . والمتوسطون منهم اذا شاهدوا الجمال وتجلى عليهم به يقال له أُنسٌ واذا شاهدوا الجلال يقال له هيبـــة والمبتدئون يقال له في حقهم قبضة وبسطة قال الجنيد رضي الله عنه الخوف يقبضنى والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني ويقال للمبتدئين والمتوسطين اصحاب احوال لانهم لا يدوم لهم تجلي ويقال للكامل منهم صاحب مقام لرسوخه وتمـــام ثباته نفعني الحق تعالى وذريتي بهم اجمعين . واعلم ان اقرب الاشياء الموصلة للمريد طالب الكمال ، والوصول الى الرتب العوال ، والفتح الكبير الخلوة

فانها تحقق للعبد الانس بسيده ومولاه لكونها تجمع همته وتسد عليه ابواب الشيطان التي هي حواسه الظاهرة وفيها نهاية انفراد المحبوب بمحبوبه وتكمل له فيها مناجاته لربه وفيها يصفى وقته ويرتقي الى درجات قربه٠ وحقيقتها الانقطاع عن الخلق الى الحق وفيها سفر السالك من النفس الى القلب ومنه الى الروح ومنها الى السر ومنه الى واهب الكل والوصول اليه انما يكون بتمام التوجه والاقبال با لكلية عليه وبمحادثة السر معه في جميع الاوقات بحيث لا ترى غيره ولا تسمع غيره في خلوة او جلوة ٠ او استعمال العزلة ظاهراً عن المخلوقات او باطناً اذا لم تتمكن له فان الفتح غالباً لا يكون الا باستعمال الخلوة او العزلة يقول سيدنا الامام محي الدين ابن العربي قدس سره

اذا اعتزلت فلا تركن الى احد ولا تعرج على اهـل ولا ولد
ولا توالي اذا واليت منزلة وغب عن الشرك والتوحيد بالأَحد
وافزع الى طلب العلياء تحظَ بهـا واشهد باسمائه الحسنى بلا عدد
واعلم بانك محبوس ومكتنف بالنور حبساً جلياً لا الى امـد

ثم اعلم ان القرون الاول وهي المسماة بقرون النور التى وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية فقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ما كانوا يستعملون الخلوات ولا كانوا يدخلون المريدين اليها وذلك لتنوير افئدتهم بحسن المتابعة للسنة المحمدية وحفظهم جميع

حواسهم الظاهرة وبواطنهم من المحرمات وما يوقع في الشبهات فكفاهم ذلك واغناهم عن استعمال الخلوات وشديد الرياضات وعظيم المجاهدات فالفتح الكبير قريب منهم جداً لكونهم منوري البصائر ومطهري السرائر الا القليل منهم لاشتغالهم كلهم بالله تعالى . ثم بعد ان اعرضت القلوب عن الله والتفتت كل الالتفات الى الدنيا وطفقت تسعى في جمعها وما تفرق من حطامها سواء كان حلالاً او حراماً وتنافست في المآكل والملابس وكسف ران المعاصي شموس القلوب واظلم سماء بصائرهم عن مكاشفة الغيوب الزمت المشايخ من يريد من تلامذتهم تكميل نفسه باستعمال الخلوات ، او بالانفراد في الفلوات ، او بالعزلة عن الناس لتطهير قلبه ، وتنوير لبه ، بالمعارف الالهيـة ، والاسرار الربانية . فان قلت ومن اين اخذت ذلك المشايخ حتى صارت الخلوة عندهم سنة متبعة قلت ان الاصل في مشروعيتها تحنثه عليه السلام في غار حراء وانقطاعه الى الحق تعالى مع ما ورد على لسان الشارع من ان الحق تعالى يقول من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه ومن قوله عليه السلام من اخلص لله اربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وعلى قدر بعد الانسان من الخلق يكون قربه من الحق جل جلاله وتأنسه به . لا يقال ان الخلوة لا تكون الا للمحجوب مع انه ورد ان سيد

الوجود عليه السلام كان يفعلها قبل نزول الوحي عليه الايام والليالي ذوات العدد كما جاء في الصحيح · لانا نقول ان فعله عليه السلام لها لم يكن لرفع الحجاب ولا لطلب التنوير والكشف عن الغيوب فانه وجميع الانبياء عليهم السلام منوَّرون من اصل خلقتهم وابتداء نشأتهم لم يدنس انوارهم الشريفة شيء ولا لطلب النبوة للاجماع على انها ليست بمكتسبة وانما فعلها صلى الله عليه وسلم فرارًا من قومه لتنجسهم بالشرك وعبادة الاوثان · ولا يريبك قوله تعالى « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » اي التصديق بتفاصيل ما اشتمل عليه الكتاب من الامور التي لا يهتدي العقل اليها لا التصديق بالوحدانية فان جميع الانبياء موحدون بل ومعصومون قبل النبوة من الصغائر والكبائر فضلاً عما بعدها · ولا يعكر عليك ايضاً قوله تعالى « ووجدك ضالاً فهدى » اي علمك خالياً عن معرفة الاحكام الشرعية التي لا يتوصل اليها الا بموقفٍ ومعلم كما قالوه كلهم غير انه ليس بجيد اذ لو كان المراد ذلك لقال ووجدك غير عالم فعلمك كما قال وعلمك مالم تكن تعلم · والجيد عندي ان تقول ان سيد الوجود عليه السلام كان دائمًا في الترقيات وما من مقام ينتقل اليه الا ويكون الذي قبله منحطاً عنه فيكون هو فيه بالنسبة الى ما فوقه خارجاً عن الطريق وان الطريق المستقيم هو هذا الثاني فتكون حالته الاولى بالنسبة الى حالته الثانية ضلالاً وذلك

ان حاله قبل نزول الوحي اليه غير حاله بعده وحاله بعد الهجرة غير حاله قبلها وحاله بعد فتح مكة غير حاله وقت انتقاله من دار الفناء الى دار البقاء فان تلك الحالات متفاوتة وذلك التفاوت النسبي الذي في بعضها هو الذي عبر عنه الحق تعالى بالضلال وللسيد ان يخاطب عبده بما شاء

العبد عبد وان تعالى   والرب رب وان تنزّل

او تقول ان معنى (ووجدك ضالاً فهدى) اي وجدك متحيراً فيما تشاهده من تجلياته تعالى المتتابعة ما المراد بها سواء كانت متماثلة ظاهراً او متخالفة فهداك الى المراد منها ومن تقلباتها وعلمك فهمها وتحولاته تعالى فيها واما قول بعضهم ان الاية محمولة على التقديم والتاخير اي وجدك فهدى بك ضالاً فهو جواب اقناعي حسبما يظهر لي وان كان التقديم والتاخير سائغاً في كلام العرب فلا يعجبني في مثل هذا ولا يطمئن به القلب ولا يثلج به الصدر وابعد من البعيد جعل بعضهم الضلال فيها وفي غيرها بمعنى المحبة وان كانت محبته للحق ثابتة موجودة ولكن كتب اللغة لا تساعد ذلك والرجوع اليها في مخاطبتهم وهي كلها موجودة بايدينا وما احد من اللغويين اطلق الضلال على المحبة فيما اعلم واغلب الاوجه التي ذكروها في تفسير الاية غير مسلمة الا تقليداً فتدبر والله تعالى اعلم . والخلوة تصح لغير صاحب الكشف واما هو

فلا تصح له خلوة لانه دائماً يشاهد الارواح العلوية والسفلية و يرى
الكائنات كلها ناطقة فهو في ملأ كما هو الامر عليه فاذا اخذ الحق
تعالى عن بصر الشخص هذه المدركات وفصل بين الحيوان وغيره
وعالم الصمت من عالم الكلام وعالم السكون من عالم الحركات صح له
ان يخلو بربه حتى لا يشغله عنه نطق كون ولا حركة كون من
الاكوان . ثم ان من الرجال من يدخل الخلوة لمزيد علم بالله من
الله لا من نظره وفكره وهذا اتم المقاصد واكملها فانه مامور بذلك
والعمل على الامر الالهي هو غاية كمال العمل قال تعالى « وقل رب زدني
علماً » والعلم المطلوب زيادته هو العلم بالله والدار الآخرة لا العلم الفقهي
وان توهمه كثير من علماء الرسوم . ويجب على المختلي عند القوم ان
لا يتحدث في نفسه مع كون من الاكوان والا فليس هو في خلوة .
وقد قال بعضهم لصاحب خلوة اذكرني عند ربك في خلوتك فقال له
اذا ذكرتك فلستُ معه في خلوة . ومن هنا يعرف قوله انا جليس من
ذكرني فانه لا يذكره حتى يحضر له في نفسه ان كان ذا صورة فانه
يحضره في خياله وان كان من غير عالم الصور او لا صورة له اصلاً
احضرته القوة المتخيلة فانها تضبط المُثل التي تعطيها الحواس وما ركبته
القوة المصورة من الاشكال الغريبة التي استفادت جزئياتها من الحس
ومن شروط الخلوة الذكر النفسي لا اللفظي فان اول خلوته الذكر

الخيالي وهو تصور لفظة الذكر من كونه مركباً من غير ان يرتقي الى الذكر المعنوى الذي لا صورة له وهو ذكر القلب ومن الذكر القلبي ينقدح له المطلوب والزيادة من العلم وبذلك العلم الذي انقدح له يعرف ما المراد بصور المثل التي اقيمت له وانشأها الحسّ في خياله في نوم او يقظة او غيبة او فناء فيعلم ما رأى وهو علم تعبير الرؤيا ٠ ومنهم من يدخل الخلوة لصفاء الفكر ليكون صحيح النظر فيما يطلبه من العلوم الرياضية وهم الذين ياخذون العلوم من افكارهم وهذه خلوة المناطقة ارباب الميزان ٠ واما اهل الله فان خلوتهم بالذكر وليس للفكر عليهم سلطان ولا له فيهم اثر ومن استحكمه الفكر في خلوته فليخرج منها ويتحقق انه لا يراد لها وانه ليس من اهل العلم الالهي اذ لو اراده الله تعالى لعلم الفيض الالهي لحال بينه وبين فكره ٠ ومنهم من يدخل الخلوة لما يغلب عليه من وحشة الانس بالخلق فيجد انقباضاً في نفسه برؤية الخلق فيؤديه ذلك الى دخول الخلوة لزوال وحشته ٠ ومنهم من يدخل الخلوة لاستحلاء ما يجده فيها من الالتذاذ ٠ وهذه الخلوات كلها معلولة لا تعطي مقاماً ولا رتبة وصاحب الخلوة الغير المعلولة لا ينتظر وارداً ولا صورة ولا شهوداً وانما يطلب علماً بربه فوقتاً يعطيه ذلك في غير مادة ووقتاً يعطيه ذلك في مادة ويعطيه العلم بمدلول تلك المادة ٠ وصفة البيت المختلى فيه ينبغي ان يكون ارتفاعه قدر قامة المختلي وطوله

قدر سجوده وعرضه قدر جلسته ولا يكون فيه ثقب ولا كوة ولا يدخل عليه ضوء اصلاً ويكون بعيداً من اصوات الناس ويكون بابه قصيرًا وثيقاً في غلقه وليكن في دار مسكونة فيها ناس وان تمكن ان يبيت احد من الناس بقرب باب الخلوة فهو حسن · وليغتسل مريد الخلوة قبل دخولها ولينظف ثيابه وينوي بدخولها التقرب الى المتوجه اليه جل جلاله لا اله الا هو العزيز الحكيم · ولا يكثر الحركة فيها ولا يزد على الفرائض والرواتب والركعتين عند كل طهارة ويكون دائماً على طهارة كاملة مستقبل القبلة · وليكن موضع خلائه قريباً من خلوته · وليتحفظ عند خروجه من الهواء الغريب فانه يورث فيه تفريقاً زماناً طويلاً · وليكن ماؤه لا يتغير عليه · واذا خرج لحاجته او الى الجمعة يسد عينيه واذنيه · وليكن غذاؤه معه في خلوته معداً او خلف باب الخلوة محفوظاً · وان قدر المختلي ان لا يعرف احد انه في خلوة فهو اولى واحسن وان كان ولا بد فلا يعرف ذلك منه الا اقرب الناس اليه ممن يجهل ما هو عليه ولا يعرف ما يقصده وانما يمنع من ذلك لئلا تتشوف نفسه الى النفوس المتشوفة لخروجه بماذا يخرج وهي علة كبيرة تحجب عليه الفتح فانه لا سبيل اليه وفي النفوس علة من العلل والمطلوب ان يكون صاحب الخلوة شجاعاً مقداماً حاكماً على وهمه غير مقهور تحت سلطان تخيله · زاهداً في كل شيء

سوى مطلوبه · عاشقاً فيمن هو متوجه اليـــه · عارفاً بقوته من قوة
الامور القواطع التي بين يديه · نافذ الهمة مصدق الخواطر · ثابتا عند
زعقة عظيمة او وقع جدار او مفاجأة امر هائل · غير طائش · كثير
السكون · دائم الفكر · غائباً عن اكثر الحالات · ساهياً عن لذة
المدح وعن الم الذم · صاحب قوت حلال لا يريبه شيء منه · وفي
الحديث عنه عليه السلام انه قال: دع ما يريبك الى ما لا يريبك اي
اترك جميع ما وجدت نفسك ترتاب وتشك فيه الى مالا تشك فيه
بان يكون من الحلال الصرف الذي لا شبهة فيه فان نفس الكامـل
تطمئن الى مالا شبهة فيه فان النجاح والفلاح فيه وترتاب من ضده
قائماً بما يحتاج اليه من اسباب خلوته فان تيسرت له فلا سبيل له اليها
وانما له ان يستعمل العزلة ويدرّب نفسه ويهذبها ويروضها الى ان
تعتاد وتتهيأ الى دخول الخلوة · وليقدم صاحب الخلوة صدقةً لله تعالى
وليتبْ من جميع الذنوب صغيرة كانت او كبيرة ويرد المظالم المقدور
على ردها الى اهلها من عرض او مال وليطهر عالمـــه الباطن من كل
مذموم شرعاً او طبعاً · وليحبس فكره عن الجولان في مراتب الكون
وتفريغه عن الفكر فان الفكر اضر شيء على صاحب الخلوة ولا تظهر
لصاحبه ثمرة صحيحة اصلاً الا نادراً فليحفظ نفسه منه كل الحفظ
وكذا من حديث النفس وتصرفاتها في مراتب الكون فالحذر الحذر

من مساعدتها · وليلبس من الثياب ما يكون بدنه به معتدلاً ويكون من حلال · ولا ينام الا عن غلبة ولا سبيل له الى الاضطجاع لانه يجلب النوم · ولا رخصة له فيه الا بعد صلوة الضحى · ولا تحد الخلوة بزمان من الازمنة فان الامزجة تختلف وفراغ قلوب الخلق من الاكوان ليس على مرتبة واحدة وانما هو على قدر الباعث فقد يفتح لواحد في يومين مالا يفتح لآخر في شهرين ولا يفتح لآخر ابداً وقد يهيئ البعض للالقاء والتنزيل والبعض لكشف الحقائق وآخر ما يتعدى به الخيال والمثال وكل واحد له مقام معلوم وحد مرسوم تقتضيه جبليته اه من شرح الجيلي على رسالة الخلوة باختصار وبعض زيادة · ويجب على المختلي تحصيل العلم المتعلق بالعبادات ليأتي بها على احسن حال واتم وجه لانها الاصل في كل خير وليقل عند دخوله لها اللهم انني نويت التبتل اليك ابتغاء لمرضاتك وطلباً لمواصلتك ونيل فيضك وفضلك العميم وتمام القرب منك يا اكرم الاكرمين يا رب العالمين · وليكن صائم النهار ساهر الليل · وان لم يتيسر له الذكر النفسي اولاً فليذكر الله بالذكر اللفظي المأذون له فيه من الشيخ مع الحضور التام والمراقبة التامة · وان غلبه النوم فليتوضأ وليصل ركعتين ليطرده عنه · ولا يأكل ذا روح ولا ما يخرج منه لئلا يجلب له ذلك شيئاً من طبع الحيوان المأكول وانما يأكل الكعك والزبيب · ولا

يكلم احداً وان اضطر الى الكلام فبالاشارة او الكتابة والا فعلى قدر الحاجة لان الكلام يورث الظلام ولا يطالب بخلوته الا الله تعالى كما تقدم . وليعرض عن كل ما يتجلى له فيها كل الاعراض واذا تجلت له فيها صورة وخاطبته وقالت له انا الله فليقل في جوابها سبحان الله بل انت بالله فانها تنطمس ان كانت للابتلاء واذا ثبتت صح انه التجلي الالهي في المظهر الذي لا ينافي التنزيه بليس كمثله شيء فانه سبحانه له الاطلاق الحقيقي فلا تقيده الاكوان ان تجلى فيها وربك واسع عليم وليكن بيت الخلوة بعيداً عن الاصوات في دار مسكونة كما تقدم وليقدم قبل دخول الخلوة عزلة ورياضة وصمتاً وتقليلاً من الطعام مدة ايام وليجهد كل الجهد في ترك شرب الماء ليعتاد ذلك وليكن جلوسه فيه متربعاً او جاثياً على ركبتيه لان الاتكاء يجلب النوم كشرب الماء واذا كشف باسرار من المغيبات فليكتمها فانه ينجح ويفلح واذا خرج من خلوته فليرجع الى الاكل بالتدريج كي لا يحصل لجسمه ضرر وليجعلها اولاً سبعة ايام ثم بعد ذلك على حسب قدرته واستطاعته ولكن الأولى ان تكون اربعين يوماً للحديث المتقدم ولقوله تعالى «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتمَّ ميقات ربه اربعين ليلة» فان المكالمة ماحصلت له الاَّ بعد الميقات الاربعيني وانما اطلت بجلب ما يتعلق بها لانني ايام توفر قوتي

كثيرًا ما تشوفتُ اليها طلبًا للاطلاع على شروطها لعلي اجد توفيقًا الهيًا ومساعدة من نفسي الهامية لاتخاذها فلم يتيسر لي ذلك وما علمتها الا بعد ان وهت قوتي وبردت شرارة همتي لضعف جسمي فانا لله وانا اليه راجعون واياك ثم اياك ايها المختلي ان يكون مطمح نظرك غير الذات الاقدس، والمرغوب الانفس، اذ لا ينبغي ان تقتل النفوس الا في طلبها ورضوانها، ونيل مشاهدتها ومجالستها ومحادثتها، اللهم امنحنا ذلك كرمًا منك وفضلاً

اذا ما الشوق اقلقني اليها ولم اظفر بمطلوبي لديها
نقشت مثالها في الكف نقشًا وقلت لناظري قصرًا عليها

واعلم انه لا ينال ما عند الله بكثرة العبادات، ولا بشديد الخلوات، وادمان الرياضات، وانما هو مواهب ربانية يهبها الحق تعالى لمن يصطفيه، وحظوظ يخص بها من شاء من عباده ان يجتبيه والا فكم وكم من متعبد رايناه ولا يشم للاسرار والمعارف الربانية رائحة، ولا برقت له من بروقها لائحة، ولكن على الانسان ان يجد في طاعة مولاه، ويجتهد في طلبه ويكل الامور كلها اليه، وان لم ينله في الوقت مبتغاه، فعسى ان تهب عليه نفحة من النفحات تلحقه بالسادات

على المرء ان يسعى لما فيه نفعه وليس عليه ان يساعده الدهر

على انه ورد ان لله تعالى في ايام دهركم نفحات فتعرضوا لها

الحديث فعليه ان يتعرض امتثالاً للحديث النبوي واعطاءً للعبودية حقها ليس الا يقول العارف بالله الكبير سيدي علي وفا رضي الله عنه

قد كنت احسب ان وصلك يشترى بكرائم الاموال والاشباح
وظننت جهلاً ان حبك هين تفنى عليه نفائس الارواح
حتى رأيتك تجتبي وتخص من احببته بلطائف الامناح
فعلمت انك لا تنال بحيلة ولويت رأسي تحت طي جناح
وجعلت في عش الغرام اقامتي فيه غدوي دائماً ورواحي

فلازم ايها المريد اطاعة سيدك ومولاك اعطاء للعبودية حقها والربوبية مستحقها لا غير وعلق قلبك به في جميع الاوقات واستعمل الادوية الشرعية سواء كنت في خلوة او جلوة وراقبه مراقبة تامة وعظمه كل التعظيم ولازم قرع بابه فانه مفتوح، وفضله ممنوح، ولكن جميع حركاتك وسكناتك صحيحة بمعنى انك لا تريد بها سواه ولا تطلب الا اياه ولا تستعمل ذاتك الا فيما يقربك اليه فانه اذا رأى ذلك منك صدقاً لا بد ان يرحمك يوماً ما ويمنحك مناك كرماً منه وفضلاً اذ الانسان متى لازم التوجه الى الحق تعالى باستعمال الخلوات والعزلة عن المخلوقات وعدم الالتفات اليهم ولا الى اقوالهم وافعالهم فانه يصل الى مطلوبه وينال نهاية مرغوبه ويفتح عليه

الفتح الكبير وتفاض عليه العلوم والاسرار ويصير لا تنقطع عنه التجليات والترقيات اصلاً لا في الحياة ولا بعد الممات ولا موت على من قطع المقامات التي قدمنا ذكرها يقول الامام الغزالي رضي الله عنه

لا تظنوا الموت موتاً انه　　لحياة وهي غايات المنى

لا ترعكم هجمة الموت فما　　هي الا الانتقال من هنا

والانسان اذا حصلت له الحياة القلبية فقد حصلت له السعادة الابدية فهو اذا مات انما ينتقل من جنة الشهود الى جنة السعود والخلود . ومبدأ الوصول عند القوم اذا وصل السالك الى النفس المطمئنة ولكن لا تخلو نفس الواصل اليها من الدسائس الخفية كالشرك الخفي وحب الرياسة والتقدم ولا يدرك ذلك من نفسه الا من نوَّر الله تعالى بصيرته لان ظاهر الواصل الى هذا المقام الصلاح لاتصافه بكثير من الاوصاف الحميدة مع ماينكشف اليه من بعض الاسرار والمعارف وانفعال بعض الاشياء عنه بالهمة وظهور بعض الخوارق والكرامات على يديه فلربما يظن بنفسه او يتوهم انه هو الامام الاعظم وان مقامه هذا هو المقام الافخم وذلك من جملة الدسائس :

محبُّ الله لا يرضى خلافه　　ولو أُعطي على ذاك الخلافه

فاذا ادركته العناية الالهية ولازم المجاهدة ولم يلتفت الى مايبدو له من الكرامات وخوارق العـادات واعرض عن ذلك كل الاعراض

واعمى عينيه واغمضهما كل الاغماض وعدَّ ذلك من جملة القواطع والصوارف والموانع واستند الى مرشده كل الاستناد فلربما يرتقي الى ما هو اعلا فيتمكن من الصفات المحمودة وينقطع عنه عرق الرياء ويدخل مقام الفناء ويرضى بكل مايقع في الكون من غير اعتراض اصلاً ويلتزم التسليم للمقدور ظاهراً وباطناً حتى يصير الاخلاص عنده طبيعة . غير انه يخشى عليه عند ذلك ان ينظر لاخلاصه فيقع له شيءٌ من الاعجاب فيقف او يرجع القهقهرى فليستعذ بالله وليداوم الذكر ويلتجيءُ اليه تعالى ويكون ملاحظاً انه لا يتم له الخلاص الا بمدد الشيخ فاذا فني عن الفناء وخلص من روئية الاخلاص تجلى الحق تعالى بالرضي والعفو عن جميع ما مضى ويبدّل سيئاته حسنات ويفتح له ابواب الاذواق وعند ذلك تصادفه ايدي العناية الربانية ويكون من الرجال اُولي الهمم العوال ، ثم بعد ذلك ينتقل من مقام البقاء ويطلب وصل الوصل فتناديه حقائق الاكوان ما تطلبه امامك « انما نحن فتنة فلا تكفر ، وان الى ربك المنتهى » . فاذا ساد مجداً ، في طلب ما يرجوه مجتهدا ، وصل الى منازل الابطال فيناديه الحق تعالى قائلاً « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » فيدخله ربه في عبيد الاحسان ويخلع عليه خلع الرضى والرضوان ومن وصل الى هذا المقام استراح وحصل له

المنى والافراح وحظي بالمواهب السنيـة والارباح وتم له الاعطاء والامناح فهنيئاً له اذ قد تمت له المجاهدة وتخلص من جميع الاتعاب والمكابدة وصارت العبادة طبيعة له وسجية فيه ونفسه صارت من اكمل النفوس واشرفها وارفعها قدراً واعلاها حظاً وفخراً ويدوم له الترقي ابد الآباد ويشهد الحق قبل الاكوان ثم يرتقي الى ان يشهده في الاكوان من غير حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال شهوداً ذوقياً. وصاحب هذا المقام تكون حركاته وسكناته ونومه ويقظته كلها عبادة اما باللسان او بالجنان او بالاركان كما ذكره من اشار اليه بقوله :

وبعد الفنا بالله كن كيفما تشا فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

ومن وصل الى هذا المقام استولى عليه الحضور وصار محفوظاً من الزلات والوقوع في المحرمات ومحلاً لتوارد نظرات الحق تعـالى عليه ومحطاً لعظيم اسراره وجليل انواره وخليفة يمد من عالم الغيب جميع مظاهر الاسماء ولو كان عليه هو ضرر من ذلك الامداد في نفسه كما شوهد ذلك في قتل من اتصف بالغوثية من كمل الرجال ومن الانبياء عليهم السلام والصحابة الفخام رضي الله عنهم فما فعل بمفرد وقته الا بيده وما قتل الا بسيفه اذ لا تتحرك ذرة في الكون الا باذنه ولا تسكن الا بحكمه كما ان الرب تعالى يمد جميع الاسماء وبعد هذا المقام لا مقام الا مقام

النبوة والرسالة وقد انغلق فلا طمع في الوصول اليه. ثم لا يزال من وصل الى هذا المقام في الترقي الى ما لا نهاية له دنيا واخرى وربك واسع عليم. اللهم اني اسئلك بجاه سيدنا محمد عليه السلام ان توفقني كما وفقت من وفقت، وان تعطيني سؤلي وفوق ماطلبت، وان توصلني اليك، وتدلني بك عليك، وان تكشف لي ما كشفته لاصفيائك، واهل ودادك واوليائك، من الاسرار الغيبية والحقائق، والعلوم اللدنية والرقائق، وان تعرفني من انا، ليحصل لي بذلك السرور والهنا. اللهم اجعلني من ذوي الحظوظ العظيمة عندك ومن ارباب العنايات الذين تبدل سيئاتهم حسنات. اللهم وجه همتي اليك، واجمع قلبي عليك، واهدني بنورك اليك، ولا تشغل قلبي بسواك، ولا تعلقه بما ليس لي فيه رضاك، واجعل همي هما واحدا، لا كون لك في جميع حالاتي مشاهدا، وامنن عليّ بنفحة من نفحاتك، وجملني بجمالك وحسن بهائك، واجعل خير اعمالي خواتمها وخير ايامي يوم لقائك، وخلص عبادتي اليك ولا تجعل فيها شائبة شرك ولا رياء او سمعة، وجزى الله تعالى خيرًا من انشد فقال:

كم تكلمتُ فاحسنت المقال ... وفعلت الخير جهرًا كي يقال

فاذا صليت والناس معي ... اتأنىَّ في صلاتي ليقال

وانا في خلوتي انقرها ... حيث لا اخشى عليها ان يقال

عملٌ عجبٌ وصنعٌ وريا   يالها من عثرات لا تقال

نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا . اللهم ارزقني الاخلاص وثبت قدمي على دينك القويم ، وصراطك المستقيم ، كما ثبت الكمل من خواص عبادك المقربين فلم يثنهم عن مطلوبهم مطلوب ، ولا عن مرغوبهم مرغوب ، الى ان حظوا بما طلبوه منك من لذيذ المشاهدة وجميل المواصلة والموادة ، والرضا عنهم والملاطفة والمكاملة في اسنى الاوقات ، واطيب الازمنة المباركة والساعات ، فهنيئاً لهم بما اسديت اليهم من المبرات ، وجزيل الخيرات ، ومن توفيقك لهم للمراقبة والحضور ، الى ان ارتفعت بينهم وبين جمالك الستور ، ووصلوا الى فناء انفسهم واوصافهم في اوصافك وتحققوا بجميع اسمائك بعد المجاهدة التامة والمشاق العامة وكثرة الرياضات وشديد الخلوات والوحشة من الخلق والفرار منهم والانفراد قلباً وقالباً عنهم وقتل النفوس بالمكابدات والاعراض عن جميع المألوفات ومعاناة الافعال التي لا تطاق وذوق المرائر التي لا تذاق وسد جميع ابواب الشيطان والتنصل عما يوجب الظهور والسلطان والذل والانكسار والخضوع والافتقار وذلك لان من طلب الاعلا جاد بالاغلا

تر ومين ادراك المعالي رخيصة   ولا بد دون الشهد من ابرة النحل

فالكمل رضى الله عنهم لما اجتهدوا في طلب الحق وصبروا على

جميع المشاق ولم يطل عليهم الامد ولزموا قرع باب الواحد الاحد ،
وقد علم منهم الجد مع اطلاعه على صفاء افئدتهم وقلوبهم رحمهم وفتح
بابه اليهم قال تعالى (ان يعلم الله في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا) فاصبحوا
وقد كشف لهم غوامض الاسرار وافاض عليهم عظيم الانوار واظهر
لهم الوحدة في الكثرة كل الظهور وازال عنهم الستور وكشف لهم
مكنونات الامور حتى حظوا بدوام الحضور فكانت عبادتهم اذ ذاك
العبادة الحقيقية · واما عبادة غيرهم فهي صورية خالية عن الاحسان
المامور به ضمنًا في قوله عليه السلام ان تعبد الله كأنك تراه فان لم
تكن تراه فانه يراك · ولله در العلامة الفاضل الشيخ اسمعيل المقري
رحمه الله تعالى ورضي عنه حيث قال واحسن في المقال

عليك بما يجدي عليك من التقوى	فانك في سهو عظيم وغفلة
تصلي بلا قلب صلاة بمثلها	يصير الفتى مستوجبًا للعقوبة
تخاطبه اياك نعبد مقبلاً	على غيره فيها لغير ضرورة
ولو رد من ناجاك للغير طرفه	تميزت من غيظ عليه وغيرة
تصلي وقد اتممتها غير عالم	تزيد احتياطًا ركعة بعد ركعة
فويلك تدري من تناجيه معرضًا	وبين يدي من تنحني غير مخبت
ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة	اذا عددت تكفيك عن كل زلة
تقول مع العصيان ربي غافر	صدقت ولكن غافر بالمشيئة

وربك رزاق كما هـو غافر   فلمْ لم تصدق فيهما بالسوية
وكيف ترجي العفو من غير توبة   ولست ترجي الرزق الا بحيلة
وها هو بالارزاق كفّل نفسه   ولم يتكفل لـلانام بجنـة
ومازلت تسعى في الذي قد كفيته   وتهمل ما كلفته من وظيفة
تسيء به ظناً وتحسن ساعة   على حسب مايقضي الهوى بالسوية

وقال الشيخ الاكبر رضي الله عنه

وكم من مصلّ ماله من صلاته   سوى رؤية المحراب والكد والعنا
واخر يحظى بالمنـاجاة دائمـا   وان كان قد صلى الفريضة وابتدى

وعلى قدر العلم وحضور المعلوم في الذهن يزيد الاحسان المطلوب في العبادة وتقوى المراقبة ويتم الايمان فان الاحسان فعل العبـادة وشهود المعبود فيها بان ترى ربك في عبادتك والا صح العمل ولا عبادة اذ العبادة غير العمل . واعلم ان العلم عند علماء الرسوم متكاثر وبحره زاخر . ووجه تكثيره عندهم هو انهم اكثروا مسائله وكثروا تعاليلها وتفاريعها حتى كادوا ان يجعلوا العلم الفقهي الذي هو منقول علما عقليا وينحوا في تعاليلهم فيه نحو العلوم الحكمية فيقولون زيد في البيت غيره في المسجد ويعددون الشي الواحد بتعدد محله وكان يكفيهم ان يقولوا ايّ كذا خلقت كما قاله الكسائي امام النحو لمـا سئل لم لا يجوز اعجبني ايهم قام . على ان مسائل الفقه لا تعلل ان

نظرت الى الحقيقة لكونها تعبدية كلها وان صادفت المعلل فانما ذلك امر اتفاقي فقط وتلك العلل انما هي حكم تذكر بعد الوقوع ٠ والعلة عند التحقيق انما هي الشرع ليس الا ٠ فاذاً يجب علينا ان نفعل الاشياء التي أُمرنا بفعلها امتثالاً للشرع المحمدي وان لم ندرك لها معنى ٠ اذ من المقرر ان الحق تعالى لم يطالب الخلق فيما يفعلون او يذرون الا بما يعلمونه بوجه صحيح او غالب ظن ولم يطالبهم بتحصيل الاشياء على ماهي عليه في علمه اذ لا وصول لهم اليها ولا يكلف الله نفساً الا وسعها فتبين ان لا علة الا الامر الآلهى فافهم ٠ واذا فهمت ان لا علة الا ذاك فينبغي لك ان لا تتعرض للاحكام الشرعية والاوضاع الالهية وتطلب العلة فيها اذ ما للعقل دخل في ذلك ولا مجال فانه لا يعلم سر ذلك الا الانبياء عليهم السلام و بعض الكمل من الاولياء رضي الله عنهم ولا لاختلاف شرائع الانبيـاء عليهم الصلاة والسلام مع كون طريقتهم واحدة ومناهجهم متحدة اذ مـا اختلفت اديانهم الا لاختلاف اممهم ولم يكن ذلك الاختلاف الا في الجزئيات من الاحكام لا في التوحيد ولوازمه ٠ ووجه ذلك هو ان اهل كل عصر يختصون باستعداد كلي خاص يشمل استعدادات افراد ذلك العصر وقابلية معنوية فتأتيهم الاحكام من الحق تعالى على حسب استعداداتهم وقابليتهم في ذلك الوقت فلا تشق عليهم كل المشقة بسبب ذلك

الاستعداد والقبول الباطني الذي هو لهم فهذا هو الحكمة في ذلك الاختلاف . وتوضيحه هو ان نقول انمـا اختلفت الشرائع لاختلاف النسب الالهية فان نسبة تحليل شيء غير نسبة تحريمه وهي لو كانت واحدة من كل وجه لكان الشرع مثلها وما اختلفت الا لاختلاف الاحوال واختلاف الاحوال انما جاء من اختلاف الازمان . الا ترى ان حال الشخص في الربيع غير حاله في الصيف غير حاله في الخريف غير حاله في الشتاء ففي كل وقت له حكم يخصه حسب زمانه فاذا فهمت هذا تبينت لك الحكمة في اختلاف الاديان والشرائع ولم تحتج الى تعليل حكم من الاحكام الشرعية . ثم ان مما يستغرب منه و يتعجب ما كنت سمعته من بعض طلبة وقتنا وهو ان العلامة المحقق الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى الف كتاباً حاول فيه تعليل المسائل الفقهية التي عجز فحول العلماء عن تعليلها واستنبط لها جميعها تعليلات مقبولة فاستبعدت ذلك منه كل البعد وعددته من الاشياء المحالة او الشبيهة بالمحال اذ لا يمكن للانسان ان يلتمس لتلك الاشياء تعليلا مقبولا الا ان يكون بقوة كشفية او ملكة وهبية فلربما يصح ذلك لمن اطلعه الحق تعالى على ما هنالك وتخرج وقتئذ عن كونها تعبدية . والمذكور لم يشم من العلوم الكشفية والاسرار اللدنية رائحة ولا فتح له فيها بفاتحة وانمـا هو ظاهري محض رجله في مهيعها دحض حسبما يظهر من كتبـه

ومؤلفاته وتقريراته ومصنفاته . وليت شعري اي تعليل يلتمسه الملتمس لتلك المسائل او لجزئيات خطاب الوضع ايضاً فان العقل يقف دون ذلك اذ لا مجال له في قطع تلك المهامه والمسالك ولو جمع الانسان كل الهمة وفرغ ذهنه من جميع الاشياء الملمة لرجع القهقرى متوليا عجزًا وقهرًا ولم يشم لذلك عرفًا ونشرًا . ثم ان الحامل للفقهاء على تكثير مسائل العلوم الفقهية هو اختلاف الاسئلة وتعددها وحدّة بعض الاذهان وتجمدها ، اذ الناس لا تخلو من فَدْم[1] وفطين ومسافر بجدة ذهنه في طلب المعاني وقطين . ولا يخفى ان السؤال انما ياتي على حسب ذهن السائل وفطنته وكذا الاشكال انما يبرز طبق صورته المتخيلة في ذهن مستشكله . والجواب عنهما ينبغي ان يكون على حسب ما يكشفهما ويزيل الغموض عنهما . واحيانًا يكون على حسب استعداد المجيب ولذلك نجد الفقيه يجيب بجواب في مسئلة يجيب الثاني عنها بجواب آخر غير جواب الاول وذلك اما لاختلاف ما في السؤال او لاختلاف الاستعدادات وسواء في ذلك من له ملكة الاستنباط منهم او من له ملكة الاستحضار .

لطيفة

ذكر ابن رشد ان عبد الوارث بن سعيد قال دخلت مكة فوجدت

---

(١) بعيد الفهم

فيها ابا حنيفة وابن ابي ليلى وابن شبرمة رضي الله تعالى عنهم . فقلت لابي حنيفة ما تقول في رجل باع بيعاً واشترط شيئاً فقال البيع باطل والشرط باطل . ثم اتيت ابن ابي ليلى فسئلته فقال البيع جائز والشرط باطل . ثم اتيت ابن ابي شبرمة فقال البيع جائز والشرط جائز فقلت سبحان الله ثلاثة من فقهاء العراق اختلفوا في مسئلة واحدة فاتيت ابا حنيفة فاخبرته فقال لا ادري ما قالا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع وشرط ثم اتيت ابن ابي ليلى فاخبرته فقال لا ادري ما قالا قالت عائشة رضي الله عنها امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشتري بريرة واعتقها وان اشترط اهلها الولاء فانما الولاء لمن اعتق البيع جائز والشرط باطل . ثم اتيت ابن ابي شبرمة فاخبرته فقال لا ادري ما قالا قال جابر بعت رسول الله ناقة واشترط لي حلابها وظهرها الى المدينة البيع جائز والشرط جائز . والى هذه القصة اشار المحقق العلامة ابن غازي رحمه الله تعالى بقوله

بيع الشروط الحنفيُّ حرَّمه	وجابر سوَّغ لاُبن شبرمه
وفصلت لابن ابي ليلى الامه	ومالك الى الثلاث قسمه

وحاصل ما في المسئلة في مذهب الامام مالك رضي الله عنه ان ما كان من الشروط من مقتضيات العقد او مصلحاته صح فيه البيع والشرط معاً وما كان منافياً للعقد او يؤدي الى الغرور والجهل بالمبيع

فسد فيه البيع والشرط جميعاً لكون النهي الوارد من الشارع صلى الله عليه وسلم محمول على المناقض او المخل بالثمن او المثمن كما ذكره الفقهاء رضى الله عنهم في المعاملات وهوظاهر لمن تأمل في ذلك وانصف وامثلة تلك المسائل لا تخفى على فقيه فلا نطيل الكلام بجلبها لكونها ليست من متعلقات الغرض فتبين لك ان في البيع مع الشرط عند الامام مالك تفصيلاً فافهم . قال العلامة ابو بكر محمد بن عاصم القيسى الغرناطي رحمه الله تعالى في منظومته في المعاملات

والبيع والشرط الحلال ان وقع مؤثراً في ثمن مما امتنع
وكل ما ليس له تأثير في ثمن جوازه مأثور
والشرط ان كان حراماً بطلا به الجميع مطلقاً ان جعلا

فالامام مالك رحمه تعالى عرف الاحاديث كلها واستعملها في مواضعها وتأولها على وجهها ولم يمعن غيره النظر فحرّم مطلقاً او جوّز مطلقاً والحق التفصيل كما هو ظاهر . اذا فهمت ذلك علمت ان الاجوبة غالباً انما تكون على حسب استعداد المجيب وسعة علمه وقد تكون على حسب سؤال السائل وجودة ذهنه فينبغي للمسؤل ان يتبصر في حال السائل . فان استشعر منه انه ذو فطنة واستعداد لفهم الجواب على اصله بان كان عارفاً بمواقع الخطاب وعنده زيادة ذكاء وحدة ذهن وجودة قريحة فانه يبرز له الجواب في اعلا

درجات المطابقة فان العارف المتقن للاشياء هو الذى يضع كل شئ في موضعه قال عليه السلام امرت ان اخاطب الناس على قدر عقولهم . وان لم يستشعر منه ذلك فليجبه بجواب على حسب ذهنه بان يعطيه شبه جواب وهو المسمى بالجواب الاقناعي وبالجواب في الجملة هذا ان كان المسؤل عالمًا محققًا واما ان كان لااستعداد له بان

كانت بضاعته في العلم وادراك مسائله مزجاةً فان جوابه يكون غير ملاق للسؤال جملة واحدة الا نادرًا كما هو مشاهد في اجوبة بعض طلبة زماننا فاننا راينا منهم من يجيب بالسفسطة خشية ان يقول فيما لا يعلم لا اعلم ويأخذ السائل جوابه ويعتمده وربما يكون في مسئلة دينية ويذهب مطمئن البال كما يذهب هو ثلج الصدر مسروره ولا يحوك في صدره شيء من خشية الله تعالى بسبب تلك الفتوى تكالبًا على طلب نيل الرفعة والظهور جهلاً ودعوى حتى لا يقال في حقه انه سئل فلم يجب ولا يلتفت لما ورد من التهديد الشرعي بقوله عليه الصلاة والسلام من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار . ولما ورد ايضًا عنه من انه قال من سُئل فأَفتى بغير علم فقد ضل واضل . واجوبة طلبة وقتنا تكاد ان تكون مثل جواب من اجاب حين سئل ما الدليل على وجوب الصلاة فاجاب بديهة من غير تلعثم ولا توقف هو قوله تعالى في محكم كتابه (ولكم نصف

ما ترك ازواجكم الاية) . وليت شعري ما الذي جرّأ المجيبين مع علمهم بجهلهم على ما فعلوا حتى زلت اقدامهم ولدرك الخسران وصلوا ولم يخشوا الحق تعالى ولا التفتوا بقلوبهم اليه وما جاءتهم تلك البلوى الا من الغفلة مع عريض الدعوى وعظم انفسهم عليهم ونهاية جهلهم وتكبرهم او من كثرة غباوتهم حتى ظنوا انهم لا يجهلون شيئاً اصلاً فذلك هو الذي اوجب طلق السنتهم واصم اسماعهم واعمى قلوبهم وافئدتهم وصيرهم يتجاسرون على الفتوى بجهلهم المركب الذي عمت به البلوى

ومن اعجب الاشياء انك لا تدري وانك لا تدري بانك لا تدري

وكانهم لم يعلموا انهم غداً موقوفون وعن جميع اعمالهم واقوالهم وما جنوه في الحياة الدنيا بين يدي رب العزة يسئلون ولله در من قال

اما والله لو علم الانام لما خلقوا لَمَا غفلوا وناموا
لقد خلقوا ليوم لو رأته عيونُ قلوبهم ساحوا وهاموا
ممات ثم حشر ثم نشر وتوبيخ واهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت اناس فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن اذا أُمرنا او نهينا كأَهل الكهف ايقاظ نيام

والمجيب لو تيقظ كل التيقظ لكفاه ان ينسب علم ما يجهله الى

الحق تعالى اقتداء بالسلف الصالح ومن والاهم من الناهجين المهيع
الواضح ، والطريق النير الواجح . ومما يعجبني ، ويكاد حقاً يطربني
قول بعض العلماء المتورعين والاجلاء العارفين وقد سئل عن مسئلة
وهو في مجلس عميم ومحفل عظيم فاجاب بانه لا يعلم فاستهجن
السائل قوله منكراً عليه حيث اظهر عجز نفسه في ذلك المحفل متبرئاً
قوته وحوله وقال له كيف تجلس في هذا المكان وقد انتهت اليك
الرياسة في هذا الزمان وتجيب بانك لا تعلم فقال له قد اجبت والله
ان تدبرت عني وكفاك ذلك عن الرد مني حيث انك اثبت لي
المكان والجلوس تحت الايوان والذي يعلم الاشياء كلها ويحيط علمه
بها جميعها لا تكتنفه الامكنة ولا تحيط به الازمنة وانا لي مكان
وموجود في زمان فأعلمُ من الاشياء ما يعلمنيه الحق تعالى واجهل ،
وعليه فيما لا اعلمه المعوَّل ، لله دره من عالم مهتدي ما انصفه ، ومحقق
كامل ما اعرفه ، منعه ورعه مع علو منصبه وعظيم خطبه بكثرة
حشمه وخدمه ، ورفع منزلته عند قومه ، وتمام ابهته ونخامته ، وعظمته
وجلالته ، من ان يطيع نفسه وهواه ، ويتكلم بما لا يعلم فينحط قدره عند
سيده ومولاه ، ويجيب بالسفسطة او الظنون ، خشية ان ينسب الى
الجهل وهكذا حق العلماء تكون ، وما كان ذلك منه الا لكمال عقله
وشدة محافظته على دينه ونقله ولذا انشد من قال

وافضل قسم الله للمرء عقــله　　فليس من الاشياء شيء يقاربه
اذا اكمل الرحمن للمرء عقــله　　فقــد كملت اخلاقه ومآربه

ومما يحكى ايضاً ان بعض الكمل من العلماء سئل وهو على المنبر عن شيء فقال للسائل لا ادري فقيل له ليس المنبر بموضع للجهــال فقال انما علوت بقدر علمي ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السماء . فينبغي للعلماء التواضع والتأني والتثبت بل يجب عليهم ذلك حفظاً للمرتبة كما يجب عليهم التخلق باخلاق سيد الوجود عليه السلام في كل شيء والمشيُ على سننه فانه كان يسئل احياناً ولا يجيب حتى ياتيه الوحي والجواب من الحق جل جلاله على لسان سيدنا جبريل عليه السلام بتفصيل المسئلة المسؤل عنهــا . وينبغي لهم ايضاً رفع الهمة اجلالاً لمرتبة العلم والتعفف عما في ايدى الناس ولا يكون ذلك الرفع منهم تكبراً . فان ذلك غير لائق بمنصبهم الشريف وقدرهم السامي المنيف . ولا عجباً بانفسهم فان العجب يوجب المقت والهلاك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . على انه قلما تجد بالعلم معجباً وبدنس اوصاف نفسه محتجباً وبما ادرك منه مفتخراً الا من كان فيه مقلاً ومقصراً فانه يجهل امر نفسه ويظن انه نال بالدخول فيه اكثر مما ناله ابناء جنسه ولا سيما ان لم يكن لاسلافه فيه قدم فانه يتكبر

وتشمخ نفسه به و يتعاظم كل التعاظم حتى يكاد ان لا ينبل احد من الناس في عينيه من جميع المعاصرين له كما هو مشاهـد ومثل ذلك كثير في جميع مستجدي النعمة علماً او غيره الا ما قل ٠ ولا يرد حديث ليس منا من لم يتعاظم بالعلم على تقدير ثبوت صحته لان معناه ليس منا من لم يعتقد ان الله شرفه وعظمه بكونه جعله محلاً للعلم وانه اراد به خيرًا حيث لم ينقصه بمنعه له منه فانه ورد اذا استرذل الله عبدًا حظر عليه العلم والادب ٠ وينبغي للعلماء ان يكونوا مستعزين بمولاهم وسيدهم الذى اهّلهم للعلم وشرف قدرهم به وجعلهم حاملين لواء شريعته المطهرة واسرارها المنورة و ينزهون نفوسهم عن الطمع في الخلق كما قدمناه آنفًا و يرفعون هممهم اجلالاً لمرتبة العلم لا مطاوعة للنفس الخسيسة المجنة للمضار الدسيسة ، فانهم اعرف الناس بها وبما جاء في ذمها والعزة والكبرياء انما هما لله جل جلاله ٠ نعم صيانة مقام العلم وحفظ منزلته مما يطالب شرعاً وطبعاً وما احسن قول بعض الفضلاء رضي الله عنهم

يقولون لي فيك انقباض وانما ... رأَوا رجلاً عن موقف الذل احجما

ارى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن اكرمته عزة النفس اكرما

ولم اقض حق العلم ان كان كلما ... بـدا طمع صيرته لي سلما

وما كل برق لاح لي يستفزني ... ولا كل من لاقيت ارضاه منعما

اذا قيل هذا منهلٌ قلت قداري ولكن نفسَ الحر تحتمل الظما
أُنههها عن بعض مالا يشينهــا مخافة اقوال العدا فيمَ او لمــا
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي لأَخدم من لاقيت لكن لأُخدَما
أَاشقى به غرساً واجنيــه ذلة اذاً فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان فدنسوا محيــاه بالاطماع حتى تجهما

ولا اقبح من الطمع وذلة النفس في حق العلماء فيجب عليهم ان يزهدوا فيما في ايدي الناس ويكون اسرعهم للطاعة فرادى وجماعة لكونهم اهلاً للاقتداء بهم وللاهتداء بهديهم واتباع سننهم ولينتفع الناس بهم وينتفعون هم بعلمهم في آخرتهم ويكونون من ارباب العلوم النافعة لا من الذين يكون علمهم في الآخرة حسرة عليهم فقد قيل خير العلم ما نفع وخير القول ما ردع ولم ينتفع بعلمه من ترك العمل به وكان ابو الدرداء رضي الله عنه يقول خيرٌ من القول فاعله وخيرٌ من الصواب قائله وخيرٌ من العلم حامله . ومن كلام بعضهم من تمام العلم استعماله ومن تمام العمل استقلاله فمن استقل علمه لم يخل من رشاد ومن استقل عمله لم يقصر عن مراد . واعلم ان مرتبة العلم اجل المراتب فلا اعلا منها ولا اكمل ولا اشرف ولا افضل ولا اجمل ولو لم يكن من فضيلة العلم الا آية (شهد الله انه لا اله الا هو

والملئكة واولوا العلم قائمًا بالقسط)لكفى ٠ وناهيك بذلك شرفًاوفضلاً وعزًّا وعلا ٠ وحديث ان العلماء ورثة الانبياء ٠ واذا علمت ان لا رتبة فوق النبوءة فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة والله تعالى لم يامر نبيه عليه السلام بطلب الزيادة من شيء من الاشياء الا من العلم فقال (وقل رب زدني علماً)وقال« و يرفع الله الذين آ منوا منكم والذين اوتوا العلم درجات »ومما ينوّه بمقام العلماء ايضاً ورفع منزلتهم عند سيدهم ومولاهم و يكاد ان يرقصهم طربًا قوله تعالى« انما يخشى الله من عباده العلماء » على قراءة من رفع لفظ الجلالة ونصب العلماء وفيها اشكال وقد سئل بعض الفضلاء عن توجيهها فاجاب بقول الشاعر

اهابكِ اجلالاً وما بك قدرةٌ   عليَّ ولكن ملء عيني حبيبها

يعني ان الخوف في الآ ية مستعمل في لازم معناه وهو الاجلال والتعظيم على سبيل الكناية فلله دره من فاضل فانه اجاب بجواب مقنع مع نهاية الايجاز ورفع عن الآ ية الاشكال بوجه حسن مرضي مقبول عال قال تعالى « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» وقال « هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور» وقال « وما يعقلها الا العالمون » وقال النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وانما العلم بالتعلم ٠ ولبعض الفضلاء

العلم يجلو العمى عن قلب صاحبه   كما يجلّي سوادَ الظلمة القمرُ

والعلم فيه حياة للقلوب كما تحيي البلاد اذا ما مسها المطر

وقال الآخر

ما الفخر الا لاهل العلم انهمُ على الهدى لمن استهدى ادلاّء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء
ففز بعلم تعش حياً به ابداً الناس موتى واهل العلم احياء

وقال الآخر

اخو العلم حيٌّ خالد بعد موته واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يعدُّ من الاحياء وهو عديم

وقال الآخر

العلم يبني بيوتاً لا عماد لها والجهل يهدم بيت العز والكرم

وقال الآخر

يموت قوم ويحيي العلم ذكرهمُ والجهل يلحق احياء باموات

وفيما اسلفناه في مدح العلم كفاية اذ ما بعد مدح الله تعالى مدح . ثم ان افضل العلوم ما كان متعلقاً بالله وموصلاً الى معرفته جل جلاله وان افضل العلماء العارفون بالله وهم السادات الصوفية ارباب القلوب الصافية رضى الله عنهم ثم المحدثون ثم الفقهاء رضي الله عن الجميع لا المتصوفة ارباب الدعاوي الباطلة المزخرفة والاقوال الواهية المزيفة ولله در العلامة الشيخ ابو الحسن بن عبد الله الحراني

مخاطباً لبعض متصوفة وقته حيث قال رحمة الله عليه

امدعياً في النـاس علم التصوف | اتيت بفعل الجاهـل المتكلف
متى كنت من اهل التصوف او متى | سلكت طريقاً غير طرق التعسف
متى كنت ذا زهد وصبر وعفـة | متى كنت من اهل الرجا والتخوف
متى كنت من اهل التورع او متى | سلكت سبيل النـاسك المتوقف
متى سهرت عيناك في ظلم الدجى | متى لم تكن من حزب اهل التخلف
متى ذرفت عيناك خوفاً ورهبـة | متى كنت تشفى بالقران وتشتفي
متى بذلت كفاك في الله درهما | متى كنت منسوباً الى كل ملطف
متى كنت يوماً للفقير مواسيـاً | سريعاً بما في الكف غير مسوّف
متى كنت طاوي البطن لله مؤثراً | غنياً عن الاغراض بالله تكتفي
متى كنت سباقاً الى طلب العـلا | متى كنت ذا بـذل بغير توقف
متى كنت للنفس المصونة مسعفـاً | اذا ما سلا عن نفسه كل مسعف
متى كنت بين الناس للعلم طالبـاً | على اثر الماضين تقفو وتقتفي
متى كنت من اهل التيقن او متى | تصرفت في العليا بصدق التصرف
متى كنت من اهل التوكل والرضى | واهل سكون القلب في كل موقف
متى كنت يوماً للامور مسلماً | تفوض ما يجري بغير تأفف
متى ذقت طعم الحب لله سـاعة | متى كنت ذا فعل رفيع مشرف
متى كنت من اهل المحبة والصفا | متى بت تطوي الحب في قلب مدنف
متى طفت شرق الارض اوطفت غربها | وحاشاك من سمي لها وتطوف
فهذى صفات القانتين ذوي التقى | فهل لك فيها غير رسم التكلف
ابن لي بحق الله هل تبت توبة | نصوحاً بها عنك المذمة تنتفي
فلمْ تدّعي ما لست من وصف اهله | ولست على علم المقام بمشرف
فقدتك دع علم التصوف مسكتاً | فلست وان موّهت بالمتصوف

ولقد بين الناظم في هذه القصيدة اوصاف السادات الصوفية الكاملين الصادقين رضي الله عنهم . فان كنت ايها المدعي التصوف والكمال والتكميل موصوفاً بما ذكر وذقت ما ذاقوه ، وحصلت ما حصلوه، وشهدت ما شهدوه، فانت منهم والا فلا تطمع ان تزاحم الرجال حسب دعواك بالشقشقة وطلاقة اللسان وتزويق الكلام وعريض الدعوى بتخيلات الاحلام، وحفظ مقالات بعض الكاملين من السادات الواصلين، لتتشدق بها في المحافل والجموع وقلبك بالمعاصي والشهوات مصدوع اذ قد عظمت الدنيا في قلبك فلا ترى فوقها مطلباً وتتكدر ان رايتها نأت عنك تجنباً فقد ضيعت الاصول وادعيت الوصول ولو كنت محقاً في دعواك صادقاً في طلب مولاك لما كبرت الدنيا في عينيك مع علمك بان مدتها يسيرة، وهي عند سيدك حقيرة لا تساوي جناح بعوضة ، اذ ما هي الا طيف منام ، واضغاث احلام ، ولذا قال في حقها من قال

الا انما الدنيا كظل سحابة ... اظلتك وقتاً ثم عنك اضمحلت
فلاتك فرحاناً اذا هي اقبلت ... ولاتك جزعاناً اذا هي ولت

ومما يستغرب منه ويتعجب ، وينكر كل الانكار ويعرض عنه ويرغب ، اتباعك لهواك ، وادعاؤك قرب مولاك ، وما ذاك الا غرور ، ونهاية فجور ، وقول مثبور

هكذا هكذا يكون التعامي　　　هكذا هكذا يكون الغرور

ولو كنت صادقاً في طلبك للحق لتركت الدعوى وتنصلت من شديد البلوى وانقطعت قلباً وقالباً عن الخلق لكي تتصل بالحق فان ذلك هو حال الصوفي المحقق والكامل الموفق والصادق المدقق حسبما بلغنا من امرهم وتحققناه استقراء من احوالهم لا التلبيس بالخزعبلات والترهات الباطلة والتمويهات لكي يغترَّ بذلك المغفلون

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه　　　ولا بكاؤك ان غنى المغنونا

ولا صراخ ولا رقص ولا طرب　　　ولا اضطراب كان قد صرت مجنونا

بل التصوف ان تصفو بلا كدر　　　وتتبع الحق والقرآن والدينا

وان ترى خاشعاً لله مكتئباً　　　على ذنوبك طول الدهر محزونا

فالتصوف هو المشي على ما كان عليه السلف من تمام الاتباع للشرع المحمدي والمهيع الاحمدي والاعراض عن المكونات الا للتفكر فيها والاعتبار بها والتأمل في اختلاف التجليات عليها وخلع الوجود الحق عليها ثوباً بعد ثوب فانها ما نصبت لك لتراها ولكن نصبت لك لترى فيها مولاها فالفاني عنها بالشهود ذاهل والمشاهد له فيها محقق كامل وغير المشاهد له فيها غافل

تأمل سطور الكائنات فانها　　　من الملأ الاعلا اليك رسائل

لقد خط فيها لو تأملت رسمها　　　الا كل شيء ما خلا الله باطل

وقد عرَّف سيدنا معروف الكرخي رضي الله عنه التصوف بانه

الاخذ بالحقائق والياس مما في ايدي الخلائق وكذا سيدنا الجنيد رضي الله تعالى عنه بانه ذكرٌ مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع وقال اذا رأيت الصوفي يعتني بظاهره فاعلم ان باطنه خراب ، وقال الشبلي رضي الله عنه التصوف هو الاقبال عليه وطرح النفس بين يديه والاعتماد في كل الامور عليه، وقد سأل بعض العارفين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام عن حقيقة التصوف فقال له هو ترك الدعاوي وكتمان المعاني، وانت ياوليي اذا سبرت متصوفة الوقت والمدعين الارشاد وجدت بينهم وبين ما يدعونه مفاوز تنقطع دونها الاكباد ووجدت اكثرهم جهلة متوانين في طلب الحق همله ووجدت جلّ نظرهم الكرامات او ما يجدونه من حديث انفسهم في المنام من التخيلات والبعض منهم نظره الى المآكل اللذيذة والمشارب في المحافل والجماعات والتفصح بالقاء بعض ما حفظه او سمعه من كلام كمل السادات واقل من القليل ان تجد منهم من يلتفت الى تعاطي الرياضات او الى العلوم اللدنية والاسرار الالهية والفيوضات الوهبية او الى معرفة النفس الخبيثة وزوال دسائسها وامراضها الخسيسة او الى الهدي النبوي واتباع سيرته عليه السلام في القول والفعل الجلي وربما تسمع من بعضهم تلويحات وتوهيمات يشير بها الى احوال من تقدم من فحول الرجال وان في صدره علوماً لم يجد لهامن

هو مستعد لفهمها ليوهم بذلك من جالسه انه حصل مقامات الرجال واحوالهم والحال ان بينه وبين الوصول الى ذلك مراحل تنقطع دونها اكباد الرواحل ولم يعلم ذلك المغرور ان الدعوى بلوى وماافلح مدع قط ولا دام امره واستمر حاله ولم ينحط . وليت ذلك المغرور شم رائحة الوصول او استشرف عليه ليكون صادقاً في توهمه ذلك تسمع جعجعة ولا ترى طحناً فما ثمّ الا تزويق البضاعة وترتيب ابواب الخداعة بالطف صناعة . واعلم بان طريق القوم دارسة وحال من يدعيها اليوم كما ترى . ويا عجباً لقوم اتخذوا ظاهر الدين شركاً للحطام وظنوا في انفسهم انهم خير الانام تشبهوا بالقوم ظاهراً وظنوا انهم بذلك ينالون المطلوب وتنفتح لهم اقفال القلوب وهم مدنسوا الاعراض ملطخون بالعيوب

اما الخيام فانهـا كخيامهم   وارى نساء الحي غير نسائها

وهل رأيت ميتاً عُدّ في الاحيا . او اكمه ابصر الهلال مشاهدة ورؤيا . وقصارى متصوفة الوقت والمدعين الارشاد اصطياد الناس لاخذ اموالهم . والتحيل عليهم لاكل طعامهم . فتراهم يتزهدون بالسنتهم ظاهراً وهم ذياب في ثياب . يقال في حق الواحد منهم اُخبرُ تقله كما في الحديث . وهيهات هيهات . ان يحصل لهؤلاء المدلسين ماحصل للسادات . نعم تلبيسهم ربما ينفعهم في دنياهم وسيكون حسرة

عليهم في اخراهم وقد وصف سيدنا الامام محي ابن العربي رضي الله عنه
سادتنا الصوفية حقاً وصدقاً رضي الله عنهم فقال هم قوم طهر الله تعالى
ابدانهم بمراقبته وطيبهم بطيب اصل معاملته وكساهم حللاً من نسج
مودته ووضع على رؤسهم تيجان مسرته، قلوبهم معلقة بمواصلته
واجسامهم ملازمة لطاعته وسني معاملته، هممهم اليه سائرة واعينهم
بالغيب اليه ناظرة خالطت هيبته قلوبهم فحركتهم للادلاج ونوّر
الذكر قلوبهم فاوجب لهم الانزواء عن الاصحاب والاولاد والازواج
فجعلوه في ظلم الليل سراجا ولسبيله طريقة ومنهاجا

غنى بهم حادي الاحبة في الدجا فاطار منهم انفساً وقلوبا
فاراد مقطوع الجناح بثينة وهمُ ارادوا الواحد المطلوبا

وقال بعضهم مخاطباً لبعض من ادعى الكمال وهو ليس من
كمل الرجال ان حالهم معروفة وانت لست على طريقهم ومنهجهم ولا
على صدقهم وحسن طويتهم واخلاص نيتهم وصفاء سريرتهم فلا
تطمع في مزاحمتهم بمجرد الاماني او انك تعد منهم وانت متكاسل متواني
فهيهات هيهات ان تكون من جملة اُولئك السادات وحالك حالك

رجال لهم حال مع الله صادق فلا انت من ذاك القبيل ولا انا
تحوم على الدنيا وتبدي تزهدا فلا انت معدود هناك ولا هنا

فاهل الله حقاً هم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فاكرم بهم

من رجال رضي سيدهم عنهم وارضاهم، ولصفا بواطنهم احبهم وقربهم اليه واجتباهم، شوّق ارواحهم الى شهود جمال وجهه الكريم، و بهاء سنائه العظيم، وسقاهم بكاس شراب السلسبيل من ماء محبته زلالاً طهوراً ، واثلج صدورهم بشراب رحيق زنجبيل ملاطفته لذة وسرورا فصاروا سكارى من انوار جماله وجمال انواره قبل الظهور في الصوَر البشرية و بقوا حياري من كمال جماله وجمال كماله قبل النشأة العنصرية فهنيئاً لهم بما وجدوا وسروراً لهم بما شهدوا فهم الرجال والصناديد الكمل والابطال بذلوا نفوسهم في طاعته فنالوا جميل مشاهدته يقول سلطان العاشقين الامام ابن الفارض رضى الله عنه

مالي سوى روحي و باذل نفسه في حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بهـا فقد اسعفتني ياخيبـة المسعى اذا لم تسعف

فاولئك الرجال حدّث عن كمالهم وما لهم من الخلال الحسنة والاوصاف المستحسنة بما شئت ولا حرج

رجالٌ اذا الدنيا دجت اشرقت بهم وان امحلت يوماً بهم ينزل القطر

احبهم الحق تعالى فاحبوه و بصادق العبادة والاخلاص طلبوه ضمر شديد الرياضات اجسادهم وفتت الشوق الى لقائه اكبادهم يقول ابن الفارض رضي الله عنه

ومن لم يجد في حب نُعمٍ بنفسه وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

وقال رضي الله عنه

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي   فاصبح لي عن كل شغل بها شغل

وقال الآخر

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني   فمالي ارى الاعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا   وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقي لك الهوى   سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

ومما انشده بعضهم في الحث على متابعة السادات الصوفية رضي الله عنهم وارضاهم، والتحضيض على المشي على نهجهم وطريقتهم ومسراهم، قوله

دع الاكوان والحق اهل حب   تملوا من حبيب في الدياجي

ولا تصحب سواهم في البرايا   فهم ينبوع فضل وابتهاج

وقال الآخر

هم الاصفياء المخلصون ذواتهم   مقدسة عن ان يغيرها الاذى

حقائقهم طابت سرائرهم صفت   فكانت بحاراً لا يكدرها القذى

وقال بعضهم عند ما سمع ذكر مناقبهم، ومالهم من المآثر والكمالات الجليلة، والمحاسن الجميلة، وادمان الطاعات، وشديد المجاهدات، وصدق النية مع الحق والخلق، واخلاص الطوية الاخلاص التام على الدوام، ما تعاقبت الليالي والايام

وحدثتني عنهم حديثاً فزدتني جنوناً فزدني من حديثك ياسعد
هواهم هوى لم يعرف القلب غيره فليس له قبل وليس له بعـد

وانني اسئل الحق جل جلاله بجاههم وهو اكرم مسئول ان يحشرني معهم وان يمن عليَّ بنفحة من نفحاتهم وان يوجه قلوبهم اليَّ انه جواد كريم، برٌّ رؤف رحيم، يقول سيدنا الامام الشافعى رضي الله عنـه :

أُحب الصالحين ولست منهم لعلي ان انال بهم شفاعه
واكره من بضاعتـه المعاصي وان كنا جميعاً في البضاعه

ولنرجع لما كنا بصدده فان المقام يفضي الى التطويل وليست هذه الاوراق موضوعة لذكر مناقبهم وكمالاتهم وشريف اخلاقهم، فان ذلك لا يفي به الا مجلدات. وناهيك بهم انهم قوم علقوا قلوبهم بالله في جميع اوقاتهم، وتخلقوا باخلاق رسول الله عليه السلام المخاطب بقوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) فنقول ان ما ذكر آنفاً في معنى الاثر المتقدم[1] مسلم ان كانت روايته بالثاء المثلثة من الكثرة بمعنى التعدد كما هو الواقع. واما ان كانت بالسين كما سمع من افواه بعض من لا يحسن ان يميز بين الثاء والسين من العلماء من التكسير بمعنى التفريق فهو فاسد لانه لا يلتئم معناه الا بالتكلف لان

---

(١) هو العلم نقطة كثرها الجاهلون

المتكلم بتلك الجملة جعل العلم نقطة مجازا او استعارة على ما هو المعروف في فن البيان والنقطة عرض لا يقبل القسمة ولا التجزي بوجه من الوجوه كما تقدم ولبعض الفضلاء

برهن اقليدس في فنه	وقال فالنقطة لا تنقسم

ولي حبيب فمه نقطة	موهومة تقسم اذ يبتسم

والشيء الذي لا يقبل القسمة كيف يتصور تكسيره فهي كبقية الامور المعقولة لا تقبل التكسير حتى في الوهم والخيال . لا يقال ان تكسيرها عبارة عن الاختلاف في فهم معناها وذلك الاختلاف هو المسمى علماً . لانا نقول ان ذلك الاختلاف ليس علماً لانهم عرّفوه بانه الجزم المطابق للواقع او ادراك الشيء على ما هو به . وهم لم يدركوا بتلك الاقوال المتضادة المعلوم حقيقة حتى يكون كل قول منها علماً وانما يعد علماً قول من اصاب المعنى المطابق للواقع وادركه على ما هو عليه في نفسه وذلك مجهول عندنا لا يعلمه الا الحق تعالى ومجرد اقوال العلماء لا تسمى علماً وانما هي ظنون تشبه العلم على ما هو معلوم من تعريفهم له فاذاً اقوالهم في معنى الشيء المختلف فيه تسمى في الحقيقة صورة علم لا علما حقيقة وان اطلق عليها . اذ العلم هو ادراك المرمى واصابته ليس الا والموافقة لما في نفس الامر مجهولة كما مر فتبين ان تلك الاقوال المضطربة في معنى الشيء لا تسمى علماً

ولا جهلاً وان كانت للثاني اقرب لانها ظنون كما علمت والظن يقرب من الجهل من حيث انه لا جزم عند صاحبه · غير ان صاحب القول الغير المطابق لما هو المعلوم عليه في نفس الامر لا يسمى قوله جهلاً الا في فهم العلوم العقلية واما في فهم المنقول كالايات القرآنية والاحاديث النبوية فلا اذ العبرة فيهما انما هي بما يفهم من الفاظها بحسب اللغة او العرف اللذين تقوم الحجة على المكلف بهما · اذا فهمت ذلك علمت ان المستنبط للاحكام الشرعية لما بذل غاية وسعه ونهاية مجهوده باستعمال الملكة التي عنده الى ان استخرج بها ما استخرج كان آتياً بما هو المطلوب منه فلا يلام شرعاً ولا يسمى علمه جهلاً اذا لم يصادف الصواب فيما وصله اليه استعداده وجلبته اليه ملكته اذ هو في ذلك معذور ومأجور ايضاً لبذله غاية طاقته في الوصول الى المعنى الذي اراده الحق تعالى او رسوله عليه السلام وان لم يصل اليه ويحمد على ذلك ويمدح · وذلك نظير شخص شجاعٍ مقدامٍ تامّ السلاح خرج عليه اسد ضارٍ في برية فاستعمل الاسلحة التي عنده في دفعه فلم يندفع ولم تفده اسلحته شيئاً مما اراده من الدفع فان الرائي المشاهد له لا يذمه حيث لم تغن عنه اسلحته شيئاً مع غاية وسعه ونهاية جهده ولذلك يقول ابن دريد في مقصورته المشهورة

اذا بلوت السيف محموداً فلا تذممه يوماً ان تراه قد نبا

فكذلك ساداتنا الفقهاء رضي الله عنهم بذلوا مجهودهم ونهاية وسعهم في الوصول الى معانى الاشياء وحقائقها واقرهم الشارع صلى الله عليه وسلم بقوله من اجتهد واصاب فله اجران ومن اجتهد واخطأ فله اجر واحد و بقوله اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم فهم مأجورون بتقريره عليه السلام لهم وان اخطؤا فيما وصلتهم اليه استعداداتهم بما استخرجوه من العلوم الشرعية المستنبطة من الكتاب او السنة لكونهم قد استفرغوا وسعهم في ادراك معنى كلام الله تعالى الذي هو يقرب عندي قربًا ما ان تكون الفاظه باعتبار دلالتها على المعاني الكثيرة بمثابة الاجناس او التعاريف المنطبقة على المعرفات فان كل فرد فرد من افرادها داخل تحت التعريف وينصب عليها ويشملها جملة واحدة · غير ان ماصدقات التعاريف متحدة الحقيقة وان تعددت الافراد · وكذا الاجناس فان ماصدقاتها كذلك ولا تتميز الا بالفصول المقوّمة لها و بذلك شملتها شمولاً عمومياً بحيث لا يشذ فرد منها بخلاف المعاني التي اشتملت عليها الالفاظ القرآنية فانها قد تكون متباينة الحقيقة فان اللفظ الواحد منها قد يفهم منه المالكيّ حكماً يفهم منه الشافعي او الحنفى ضده وهلم جرا · وكذلك المفتوح عليه الفتح الكبير من السادات العارفين رضي الله عنهم يفهم منه معنى يفهم منه غيره معنى آخر الى ما لا

نهاية له على ما هو معروف عند ارباب التحقيق وانما كل واحد يفهم منه على حسب استعداده وقابليته لكون القرآن العظيم بحره زاخر وسفن العقول فيه مواخر ، تجول عقول الخلق حول جنابه ولم يدركوا من برقه غير لمعه وذلك لان معانيه غير محصورة عندهم خلافاً لما عند الفقهاء ولذا نجدهم يفسرون الآية الواحدة بما لا تسعه الا مجلدات لان مدلوله الصفة القديمة كما قال به بعضهم وهي دالة على ما كان وما يكون فيكون هو ايضاً كذلك . وخالف في ذلك العلامة المحقق ابن قاسم العبادى صاحب الايات البينات وتبعه على ذلك جمع من المحققين منهم العلامة الشيخ حسن البناني الفاسي والعلامة الشيخ محمد الامير المصري وغيرهما من اكابر العلماء . واختاروا ان مدلوله بعض متعلقات الصفة القديمة جرياً على طريقة الفقهاء من كون معانيه محصورة وان لزم على ذلك ما لزم . وقالوا ان امتناع سلفنا من القول فيه بالحدوث لفظاً ومعنى انما هو لمجرد مخالفة المعتزلة فقط فتسميته بكلام الله تعالى اذاً اما حقيقة لكونه منزلاً منه ليس من تاليف المخلوق ولا داخلاً تحت كسبه فاضافته للتشريف من اضافة المخلوق للخالق كما يقال للجنة دار الله وللمسجد بيت الله والبيوت كلها لله . او لكونه دالاً على بعض الصفة القديمة فالتسمية مجازية كما يقال للكلام المترجم به عن كلام الملك هذا كلام الملك وكما يقال

للمحكي عن الانبياء وامهم الاعاجم هذا كلامهم مع انه ترجمة عن كلامهم . وقالوا ان الطريقة السنوسية المشهورة مبنية على التسامح وقال بعض العارفين واظنه الشيخ عبد الرحمن الفاسي في حاشيته على السنوسية الصغرى على ماهو في ذهني فان العهد بها من نحو الثلاثين سنة ما معناه ان كلامهم في هذه المسئلة وبحثهم فيها من الفضول الغير اللائق بهم وما مثلهم في ذلك الا كمثل قوم اتاهم كتاب من ملكهم يامرهم باشياء وينهاهم عن اشياء فتركوا المأمور به والمنهي عنه وجعلوا يتكلمون على خط الكاتب وهل حروفه مستقيمة او لا وهل الفاته معوجة او لا وهل ذلك الا غفلة منهم وغلط عظيم عما طلب منهم وتكلم فيما لا يعنيهم اه . اقول وهلا قالوا الكلام في القرآن من مواقف العقول وسلموا علم امره للحق تعالى وجعلوه من قبيل المتشابه وتركوا الخوض فيه بالكلية اقتداء بالسلف الصالح والقرون الأول اذ لم يأتي آخر هذه الامة باهدى مما كان عليه اولها فانهم رضوا بالقتل والجلاء والكرب والسجن والضرب ولم يتكلموا فيه بشيء سوى انه كلام الله قال تعالى (وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها ما بين دفتي المصحف كلام الله . على انه ليس المطلوب منهم سوى اتباع اوامره ونواهيه لا غير وما بعد ذلك فهو فضول او ضلال وهلا ابقوا هذه

المسئلة في خزانة الجهل كغيرها من بقية المسائل المجهولة لهم وفيما وقع
للامام احمد بن حنبل رضي الله عنه من المحنة وثباته كل الثبات بحيث
انه لم يقل فيه بشيء سوى انه كلام الله ردعاً لكل متمشدق ممن
يدعي التحقيق وكمال التدقيق · واقول ان من اللطائف المستحسنة ما
حكاه الحافظ الدميرى رحمه الله من مناظرة وقعت بين ابن ابى دؤاد
وبعض الفضلاء المحققين بحضر امير المؤمنين الواثق بالله العباسي
فقال ذلك الفاضل المؤتى به للامتحان في مسئلة القرآن مخاطباً لابن
ابى دؤاد ان هذا الامر الذي تسئلنى عنه وتريد ان تحمل الناس
عليه اهو شيء لا يكمل الدين الا به فقال له نعم فقال له سبحان الله
ان الحق تعالى قال في كتابه العزيز (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي الاية) وانت تقول ان الدين لم يكمل الى حد الان
فسكت ثم قال له وهل ما تدعو الناس اليه علمه ابو بكر وعمر وعثمان
وعلي رضي الله عنهم ام جهلوه فان قلت علموه وسكتوا عنه فهلاّ
وسعك ما وسعهم وان قلت جهلوه اشيء يجهله اولئك الكمل تعلمه
انت يالكع ابن لكع فافحم عن الجواب وصار كانما القم حجراً وسقط
في يديه فتاب الخليفة من يومئذ وترك امتحان الناس ورجع عما كان يعتقده

وقد عنّ لي ان اثبت هنا سؤالاً كنت وجهته لمفتى دمشق
الشام مع الجواب الذي اجابني به تتميماً للفائدة وخشية ضياعهما على

سبيل الاستطراد لكونهما لايخلوان عن فائدة وقد كان ذلك السوآل لاسباب دعت اليه اقتضاها الوقت ونصه

﴿ الحمد لله وحده ﴾

سعادة العلامة النحرير الفهامة انسان عين دمشق الشام وتاج هامها و بدر سمائهـا المنير وضوء سراجها السيد محمود افندي حمزة الحسيني الانخم احيا الله تعالى علوم الدين الحنفي بوجوده اللطيف . وابقى مآثر الافادة ساطعة بنور قمره السامي المنيف . « اما بعد » اهداء مايليق بتلك الحضرة من جزيل التحيات . وعظيم النفحات . والبركات والدعاء لها بدوام المسرات .

فانني ارجو جوابكم الشريف . وقطر سحابكم الوكيف . عما كنت استشكله منذ زمان . ولا زال يهجس شيء منه بخاطري الى حد الان . وهو ان القرآن كلام الله القديم . وسره العظيم . الذي لاتفنى عجائبه . ولا تبيد غرائبه . جاء محتويـاً على اعلا الفصاحة والجزالة والايجاز . وانواع البلاغة الخارجة عن نمط العرب العرباء بحسن الترتيب والاعجاز . وعلى جميل الاختصار والنظم الغريب والاسلوب العجيب والالفاظ الرائقة والمعاني المتسقة فاذا تامله المتامل وتدبره وجد له حلاوة ونورانية وطلاوة وسطوة عظيمة وجلالة زيادة على اعجاز تركيبه وتألف جمله وترتيبه بحيث ان تلك الاشياء لاتوجد

في كلام غيره من المخلوقين فاذا نسخ شيء منه لفظاً ومعنى او لفظاً لا معنى وذلك كآ يتي الرضاع والرجم وهما عشر رضعات معلومات يحرمن والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله الخ انتفى عنه ماتقدم و بقى خاليًا مما ذكر تمكن معارضته والاتيان بابلغ منه فصاحة وجزالة ودعوى ان حالته بعد حالته مكابرة في المحسوس

والعجب ان سطوة الكلام وجلالته وعظمته ونورانيته انما هي باعتبار مظهره كما هو مشاهد في كلام الملوك ولو نصارى كهرقل وغيره ولذلك يقال كلام الملوك ملوك الكلام و ككلام الوزراء وغيرهم من بقية الامراء و ككلام سادتنا العارفين رضي الله عنهم وهذا مظهره سيدنا جبريل وسيدنا محمد عليهما السلام فما له انسلخ عن جميع ماتقدم وليت شعري فاين السطوة واين النورانية والحلاوة وكيف سلب ذلك ومظهراه من ذكر ولم تبعد مقابلته مع استحالتها قبل وكيف صار الذاتي له عرضياً وما بالذات لا يتخلف ولا سيما على قول من قال ان معارضته ليست في طاقة البشر على ماهو التحقيق وقالوا انها كانت في مقدورهم فصرفوا عنها وقالوا انها من جنس مقدورهم ولكنها لم تكن ولا تكون بعد وهذا مما يوجب له الارتقاء الى اعلا المقامات فكيف ينزل عن رتبته الى اقل الدرجات اذا نسخ ولا نقول ان تلك الحلاوة والنورانية والجزالة والبلاغة والطلاوة

انما جاءت من صقالة الالسن له كما قاله بعض من رام معارضته من
من مطموسي البصيرة كيف وقد شهد ببلاغته ونورانيته وحسن
جزالته وطلاوته عند سماعه لاول وهلة الاعداء وخروا لبلاغته
وسطوته ونورانيته سجدًا فهو لا يشق له معارض غبارًا ولا يبصر
لشعاع ضوئه نارًا وهيهات هيهات لافي الماضي ولا في الآت واذا
تدبرنا ما نسخ منه الحكم وبقي منه اللفظ والرسم وذاك كآية
« والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعًا الى
الحول غير اخراج » مع الناسخة لها وهي « والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا » وجدنا لافرق بينهما
ورأينا السر باقيا والحلاوة باقية والنورانية ضافية واذا قسنا هاتين
الايتين مع تينك المتقدمتين وامثالهما مما نسخ لفظه وجدنا بونًا لائحًا
وفرقًا واضحا يشهد به كل من له عقل سليم وذهن مستقيم ووراء
ذلك سر مستتر لايدرك بالفكر والنظر وربما تخيلنا في الامر
الضمني الذي هو في آيتي العدة قوة زائدة وسطوة غيرها في آية الرجم
المنسوخة واذا تلا الانسان مانسخ حكمه واعاد تلاوته مرارًا عديدة
لايسأم من ذلك ولا يمجه لاهو ولا سامعه ايضاً بخلاف ما اذا كرر
المنسوخ لفظًا لاحكما فانه لايزيد على اكثر من اثنين الا ويمج ذلك
ويمله وليت شعري ما السبب . على ان مثل آية الشيخ والشيخة ليس

بمعجز ويمكن للشعراء ذوي اللسن ولفحولهم من فصحاء العرب العربا
بل وللمولدين ايضاً الاتيان بابلغ من ذلك والطف • وايضاً القرآن
كلام الله تعالى القديم ومظهراه من علم فكيف يكون فيه البليغ والابلغ
حسبما قالوا ويشهد بذلك الذوق ايضاً وهلاَّ كان على وتيرة واحدة
وبلاغة متحدة والادباء انما اختلفت قصيدة الواحد منهم بلاغة
لاختلاف الاوقات عليهم قبضاً وبسطاً لكونها اعراضاً سيالةً وهنا
لايتصور ذلك باعتبار المظهر الاول وما الفائدة والحكمة في نزول
مثل تلك الآيات ثم رفعها وابقاء حكمها او رفعه فيكاد ان يكون
فيه نوع من البدا وهو على الله تعالى محال اذ لاتخفى عليه خافية او
تلتبس عليه مصلحة وتعالى ان يكون محلا للحوادث وان يجهل
شيئاً ما افيدونا عن جميع ماتقدم ولكم الاجر والثواب من الملك
الوهاب ادام الله تعالى النفع بكم ورحم اسلافكم وجدودكم والسلام

﴿ ونص الجواب ﴾

﴿ الحمد لله تعالى ﴾ سبحان من انزل القرآن بافصح لسان
على افضل انسان عليه اكمل صلاة وسلام ماتعاقب الملوان وعلى
آله واصحابه اولي الحزم والعزم والشان وبعد فقد شرفني سوآل
العالم الفاضل والسيد الجهبذ الكامل احمد بن محي الدين الحسني
فتاملت مواضع الاشكال واعملت الفكر في مواقع الاقفال وقات

مستمداً من فيض الكريم المنان اما دعوى سلب الاعجاز من منسوخ الحكم والتلاوة او التلاوة فقط وامكان معارضته فغير صحيحة لان كل آية منه ليست بمعجزة كما في تقويم الادلة ولو فرضنا مقدار سورة قصيرة غير معجز منه فهي دعوى بلا برهان لانها لاتستقيم الا بعد ثبوت اهل الذوق واستلزام ثبوت القرآنية الموقوف على الدليل القطعي لان التواتر فيه شرط كما في كتب الاصول ولو سلم وجود البليغ الذي قد احاط بمذاهب العرب وغرائب الصنعة واحسّ ذوقاً ان بعض ما أُخبر عن نسخه مسلوب الاعجاز او ادرك ذلك مدرك بطريق الاستدلال لملكته في علمي المعاني والبيان فلا ينهض دليلا للدعوى لاحتمال عدم قرآنيته ولا يعتمد في النسخ قول المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح كما في الاتقان وكيف يدعي السلب بعد ثبوته وقد قال تعالى « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » والمنسوخ مما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم فقد ثبت له الاعجاز فلا يزول الا بدليل لان التلاوة متى نسخت بقيت وحياً غير متلو والحكم يجب به الى انتفائه بدليل كما في التقويم ولا يقال ان سلب الاعجاز تابع للنسخ لانه لاتلازم كما نص عليه علماء الاصول على انا نجد بعض ماقالوا بنسخه باقياً على منزلته من البلاغة والحلاوة والطلاوة والاعجاز استدلالاً لا ذوقاً كسورتي الخلع

والحفد للقنوت وآيتي « ان الذين آمنو وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم الا ابشروا وانتم المفلحون والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم اولئك لا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون» · فهل سلب من هذه الايات الحلاوة و كذلك آية الرجم فقد همَّ عمر رضي الله ان يكتبها في المصحف انقول انه لم يحس بسلب اعجازها وطلاوتها هذا بعيد جداً لكمال ذوقه واستيناس لبلاغتها· واما الحكمة في نسخ التلاوة مع بقاء الحكم فقد اجاب صاحب الفنون بان ذلك لظهور مقدار طاعة هذه الامة في المسارعة الى بذل النفوس بطريق الظن من غير طلب مقطوع به كما في الاتقان · واما السوآل عن وجود البليغ والابلغ مع انه قديم فهو قياس اعتزالي مطوي الكبرى نتيجته القول بخلق القرآن · والجواب ان ذلك من عوارض الالفاظ فلا يقدح في قدم الكلام كما في مفاتيح الغيب للفخر الرازي واما السوآل عن انه لِمَ لم يكن على وتيرة واحدة فقد اجاب عنه في الاتقان بما حاصله : انه لو كان كذلك لكان على غير النمط المعتاد عند العرب من جمعهم بين الفصيح والافصح فلا تتم الحجة في الاعجاز · واما السوآل عن الفائدة في النسخ وانه يكاد ان يكون فيه نوع من البدا وهو على الله محال فالجواب ان فائدته تشديد او تخفيف وترتيب ثواب او عقاب

وليس فيه بدا كما قالت اليهود غير العيسوية فانهم قالوا النسخ اما لحكمة ظهرت فيكون بدا او لا فيكون عبثاً يريدون بذلك الزام مخالفيهم بعدم نسخ التوراة وغفلوا عن نسخ التوراة نكاح الاخت في شرع آدم عليه السلام والجواب ان اريد بظهور الحكمة تجددها بتجدد الازمان اخترنا الاول ولا بدا وان اريد تجدد العلم بها اخترنا الثاني ولا عبث بثبوتها كما ذكره الاصوليون والله سبحانه وتعالى اعلم

كتبه الفقير

محمود الحمزاوي مفتي دمشق الشام

واقول ان هذا الجواب وان كان في غاية من الحسن الا انه اقناعي والكلام الجزل والقول الفصل الذى يثلج به الصدر هو ان نقول ان السر في تجرد الآيات القرآنية عن نورانيتها وحسن سبكها وطلاوتها وجزالة الفاظها وحلاوتها بعد النسخ لا يطلع عليه الفحول من علماء الرسوم فضلاً عن غيرهم لانهم لا يتجاوزون ظواهر الالفاظ والنكت المستفادة من فن المعاني والبيان والبديع · واسرار القرآن وراء ذلك ولا يطلع على اسراره وما احتوى عليه من الحقائق والاشارات والدقائق واللطائف والرقائق وغير ذلك من الاسرار التي لا تفي بها ضخام الاسفار ولا على حكمة النسخ والمنسوخ ولاي سبب نزلت الآية ثم رفعت وابقي حكمها او ابقيت ورفع حكمها

الا اهل العلم اللدني الذين ياخذون علمهم عن الله تعالى كسيدنا علي الخواص . وسيدنا عبد العزيز الدباغ . وغيرهما من ارباب الاختصاص . رضي الله عنهم فانهم هم الذين يعلمون حكمة ذلك . والرجوع اليهم في امثال ذلك لا الى غيرهم من ارباب العلوم الرسمية ولو اعطوا كمال التحقيق . ونهاية التدقيق . فانهم بعيدون عن ادراك مثل ذلك . وعن الاطلاع عما هنالك . واسباب النزول انما ذكروها في الجملة . والجواب المتقدم هو غاية ما يبدون . وعلى صفحات اوراقهم يسطرون . واذا تأملته وجدته ليس بالزامي ﴿ فائدة نفيسة درية . وتحقيقات جميلة استطرادية ﴾ وهي ان صاحب الابريز سأل شيخه السيد عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه عن القرآن وعن الحديث القدسي والحديث النبوي فقال له: سيدي ما الفرق بين القرآن والاحاديث القدسية والاحاديث النبوية فان الحديث القدسي له شبه بالقرآن وشبه بالحديث الذي ليس بقدسي فيشبه القرآن من حيث انه منزل ويشبه ما ليس بقدسي من حيث انه ليس متعبداً بتلاوته . فاجابه بقوله: الفرق بين هذه الثلاثة وان كانت خرجت من شفتيه صلى الله عليه وسلم وكلها معه انوار من انواره عليه السلام ان النور الذي في القرآن قديم من ذات الحق سبحانه لان كلامه تعالى قديم . والنور الذي في الحديث القدسي من روحه صلى الله عليه

وسلم وليس هو مثل نور القرآن فان نور القرآن قديم ونور هذا ليس بقديم . والنور الذي هو في الحديث الذي ليس بقدسي من ذاته صلى الله عليه وسلم فهي انوار ثلاثة اختلفت بالاضافة . فنور القرآن من ذات الحق سبحانه ونور الحديث القدسي من روحه صلى الله عليه وسلم . ونور الحديث الذى ليس بقدسي من ذاته صلى الله عليه وسلم . فقلت له ما الفرق بين نور الروح ونور الذات . فقال لي رضي الله عنه: الذات خلقت من تراب ومنه خلق سائر العباد . والروح من الملأ الاعلا وهم اعرف الخلق بالحق سبحانه وكل واحد يحن الى اصله . فنور الروح متعلق بالحق جل جلاله . ونور الذات متعلق بالخلق . فلذا ترى الاحاديث القدسية متعلقة بالحق بتبيين عظمته او باظهار رحمته او بالتنبيه على سعة ملكه وكثرة عطائه فمن الاول : عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسالوني فاعطيت كل انسان مسئلته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر . ومن الثاني: اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ومن الثالث: يد الله ملأى لا تنقصها نفقة سحاء الليل والنهار وهذه من علوم الروح في الحق سبحانه وتعالى وترى الاحاديث التي ليست بقدسية تتكلم على ما يصلح البلاد والعباد بذكر الحلال

والحرام والحث على الامتثـال بذكر الوعد والوعيد فقلت له وهل
الحديث القدسي من كلام الله تعالى ام لا فقال ليس من كلامه
وانما هو من كلام النبي عليه السلام فقلت له فلم اضيف الى الرب
سبحانه فقيل فيه حديث قدسي وقيل فيه فيما يرويه عن ربه واذا
كان من كلامه عليه السلام فاي رواية فيه عن ربه وكيف نعمل
في هذه الضمائر في قوله يا عبادي لو ان اولكم واخركم وقوله اعددت
لعبادي الصالحين وقوله اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فان
هذه الضمائر لا تليق الا بالله تعالى فتكون الاحاديث القدسية من
كلام الله تعالى وان لم تكن الفاظها للاعجاز ولا تعبدنا بتلاوتها فقال
لي رضي الله عنه مرة ان الانوار من الحق تعالى تهب على ذات
النبي صلى الله عليه وسلم حتى تحصل له مشاهدة خاصة وان كان
دائماً في المشاهدة فان سمع مع الانوار كلام الحق سبحانه او نزل عليه
ملك بعد ذلك فهو القرآن وان لم يسمع كلاماً ولا نزل عليه ملك
فذلك وقت الحديث القدسي فيتكلم عليه الصلاة والسلام ولا
يتكلم حينئذٍ الا في شان الربوبية بتعظيمها وذكر حقوقها ووجه اضافة
هذا الكلام الى الرب سبحانه انه كان مع هذه المشاهدة التي اختلط
فيها الامر حتى رجع الغيب شهادة والباطن ظاهراً فاضيف الى
الرب وقيل فيه حديث رباني وقيل فيه فيما يرويه عن ربه عز وجل

ووجه الضمائر ان كلامه عليه السلام خرج على حكاية لسان الحال التي شاهدها من ربه عز وجل واما الحديث الذي ليس بقدسي فانه يخرج مع النور الساكن في ذاته عليه السلام الذي لا يغيب عنها ابداً وذلك انه عز وجل امد ذاته الشريفة بانوار الحق كما امد جرم الشمس بالانوار المحسوسة فالنور لازم للذات الشريفة لزوم نور الشمس لها وقال لي رضى الله عنه مرة اخرى فاذا فرضنا محموما دامت عليه الحمى على قدر معلوم وفرضناها تارة تقوي حتى يخرج بها عن حسه ويتكلم بما لا يدري وفرضناها مرة اخرى تقوى ولا تخرجه عن حسه ويبقى على عقله ويتكلم بما يدري فصار لهذه الحمى ثلاثة احوال قدرها المعلوم وقوتها المخرجة عن الحس وقوتها التي لاتخرج عن الحس فكذا الانوار التي في ذاته عليه السلام فان كانت على القدر المعلوم فما كان من الكلام حينئذٍ فهو الحديث الذي ليس بقدسي ٠ وان سطعت الانوار واشتعلت في الذات حتى خرج بها عليه السلام عن حالته المعلومة فما كان من الكلام حينئذ فهو كلام الله سبحانه ٠ وهذه كانت حاله عليه السلام عند نزول القرآن عليه ٠ وان سطعت الانوار ولم تخرجه عن حالته عليه السلام فما كان من الكلام حينئذ قيل فيه حديث قدسي ٠ وقال لي رضي الله مرة اخرى اذا تكلم النبي صلى الله عليه السلام وكان الكلام بغير اختياره

فهو القرآن وان كان باختياره فان سطعت حينئذ انوار عارضة فهو الحديث القدسي وان كانت الانوار الدائمة فهو الحديث الذى ليس بقدسى ولاجل ان كلامه صلى الله عليه وسلم لا بد ان تكون معه انوار الحق سبحانه وتعالى كان جميع ما يتكلم به صلى الله عليه وسلم وحياً يوحى اليه وباختلاف احوال الانوار افترقت الاقسام الثلاثة . اه المراد منه مع بعض تغيير . وثم نفائس درية تركناها خشية التطويل فانظرها ان شئت في الكتاب المذكور ثم اعلم ان القرآن العظيم جاء محتوياً على لطائف وعبارات وحقائق واشارات فالعبارة للعوام والاشارات للخواص واللطائف للاولياء والحقائق للانبياء عليهم السلام . بقى ان ما يتخيل لبعض الاذهان من انه قد يوجد بين بعض المعاني القرآنية تناف وتضاد فهو مدفوع بان ذلك على حسب فهم الفاهم وقابليته وفي الحقيقة لا تنافي ولا تضاد اصلاً فان لكل لفظ من الفاظه محملاً يخصه ويليق به على ان اللفظ الواحد قد يفهم منه معان كثيرة كما قدمناه وتكون تلك المعاني كلها مرادة للحق تعالى مع كثرتها وتباينها اذا فهمت ذلك علمت ان كل معنى من المعاني التي فهمت من الالفاظ القرآنية هي مرادة للحق تعالى ومنطوية تحت كلامه ويكون كلامه دالاً عليها دلالة مطابقية ولو تباينت لكن بشرط ان يكون اللفظ يعطي ذلك المعنى وهذا على فرض وجوده

ان لو وجد لكان مسلما عند المدرك حتى ان الانسان لو عمل بمقتضى ذلك المعنى الذي فهمه لكان غير مواخذ فان الحق تعالى انما انزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين لتفهيمنا لا للتلبيس علينا او تغليطنا ومن المقرران ما يتخاطب به من الالفاظ لا يلتفت فيه الى اعتقاد السامع من حيث هو اذ ذاك لا ينضبط ولا الى ما استقر في نفس الامر فان ذلك لا يعرف بل الى مايفهم من اللفظ في التخاطب بحسب اللغة او العرف وبذلك يسمع الخطاب وتقوم الحجة في طلب الجواب كما اومأنا الى ذلك فيما تقدم ولا بعد فيما ذكرناه آنفاً عند من فهم وانصف ولم يعمه التقليد الا ترى انهم قالوا ان الواضع قد يستحضر امراً كلياً ويضع لبعض الاشياء بواسطة ذلك الامر الكلي لفظاً مفرداً يصدق على مفردات تلك الاشياء جميعها بحيث لا يشذ فرد واحد منها عنه ويكون ذلك الامر الكلي مرآة لملاحظة تلك المفردات جميعها وذلك كالاسماء الموضوعة وضعاً عاماً لموضوع له خاص وهي الضمائر والموصولات واسماء الاشارات وكوضعه اسماء الاجناس لمسمياتها وكوضعه الحروف لمعانيها الجزئية الملاحظة بذلك الامر الكلي فافهم فاذا كان الواضع مع عجزه جرياً على انه البشر قد يكون منه ذلك فالحق تعالى او رسوله لا يبعد ان تكون الفاظهم الواحدة دالة على معان كثيرة ولو متباينة وتكون كلها مرادة لهم بذلك اللفظ

الواحد مفرداً كان او مركباً فان ذلك ليس بمستحيل اذ القدرة الالهية لا يعجزها شيء ممكن وايضاً انا وجدنا انسان العين مع صغرة تنطبع فيه صور المرئيات المقابلة له جبال وسموات واراض متعددة ونباتات واشياء متضادات وكان حقه ان لا ينطبع فيه الا مقدار ما يقابله منها ولولا ان المشاهدة تعطينا ذلك لم نصدق وقوعه فاذا نظر الانسان الى ذلك السر الذي جعله الحق تعالى في ذلك الجزء الصغير راى عجباً وتحير عقله واندهش لبه وتعجب نهاية العجب كيف انطبعت صور تلك الاجرام الهائلة والاشياء المتباينة في ذلك الجرم الصغير والشيء الحقير وتبين له تمام قدرة العليم الخبير وحينئذ لا يستبعد شيئاً من الاشياء التي تحيلها العقول بديهة سواء كانت محسوسة او معقولة وانظر لو ان انساناً اخبرك بان ثمة شيئاً مقدار الخردلة تنطبع فيه صور تلك الاشياء المذكورة ويحيط بها مع كبرها وصغره وكثرتها وتباينها ولم يبين لك ذلك الشيء ما هو لوجدت نفسك تستبعد ذلك كل البعد وتحيله ولا تصدقه وربما جبهته وجعلت كلامه من جملة الخرافات او كلاماً ساذجاً لا معنى له ولا صورة له في الخارج تطابقه مع ان الذي قاله واخبرك به موجود فيك وفي كل انسان بل وفي كل حيوان ذي عين تبصر وحدقة تنظر فسبحان من كل اللسان والقلم والجنان عجزاً عن الحصر والاحاطة بما وسعه علمه

من الاشياء التي برزتها قدرته الباهرة تركيباً وبساطة الواسع العليم والجزيل الفضل العظيم العالم بما تكنه الصدور وتبديه الازمنة المتوالية والدهور من شئوناته التي لا انتهاء لها وتجلياته التي يتعالى عن الحلول فيها والافتقار اليها · ولما جاد القلم بما جاد وابان حسب الظن عن المراد من ذلك الصنيع والوشى الذي هو عند جهابذة المحققين غير بديع قلت مستغفراً من ذنبي راجياً عفو ربي لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ومنشداً قول من قال من الفضلاء

ان كان يونس قد ناداك معترفا بذنبه عند ما ادخلته الظلما
فالجهل كالليل والبحر المحيط هو الدنيا وجسمي هو الحوت الذي التقما
وكل حين انا العاصي المغاضب في بحر الخطوب غريقاً اشتكى الالما
فها انا يونس والعفو يؤنسني ادعوك مبتهلا فامنن وزد كرما

والحامل على جمع هذه الكلمات وترتيب هذه المفردات هو انني كنت اجتمعت مع بعض فضلاء العصر ونبهائه واجلة اهل الوقت ونبلائه وهو العلامة النحرير الفاضل والجهبذ الكامل السيد محمود افندى الحمزاوي مفتي دمشق الشام وانسان عينها وابريزها الناصع واكسيرها في محفل من المحافل ووقت يطرب الجسم سروراً فيجعله كالغصن مع النسيم مائل فاسمعني في ذلك المجلس توجيهاً حسناً بين فيه وجه تكثير العلماء مسائل العلوم الشرعية بمناسبة الاثر

المتقدم . الا انني نسيت ماذكره من تلك التوجيهات التي ذكرها والتفريعات التي فرعها ومحصل تلك العبارات المرونقة التي نطق بها والتدقيقات التي قرر رأيه عليها واعتمدها هو انه حمل الاثر على تكثير الفقهاء مسائل العلوم الفقهية فحثني ماسمعت منه على كتب ما كتبت وجلب ماسطرت وعلى ان ابديت مافتح به المنان وافاضه على القلب والجنان من لطائف المعاني المستجنة تحت قوالب الالفاظ والمباني وحيث انتهى بنا الغرض وزال عن ذلك الاثر الاشكال والمرض عنَّ لنا ان نمسك عنان القلم خشية الاطالة والملل والسأم فان التطويل يشوش الاذهان و يتعب الاجسام والابدان ولا احاشي ما كتبته من الشين ولا بد فيه من بعض الخلل عند رأي العين معترفاً بان الوقت لا يخلو من مسلم ومعتقد، ومعترض بما جبلت عليه نفوس المعاصرين ومنتقد، فاقول كما قيل ان سيد الاكياس، من صوَّب خطأ الناس ، والكريم حليته الغض واللئيم صدمته العض، ولله در بعض الفضلا حيث قال واحسن في المقال

يا ناظراً فيما عمدت لجمعه عذراً فان اخا الفضيلة يعذر
علماً بان المرء لو بلغ المدى في الفضل والعرفان فهو مقصر
فاذا ظفرت بزلة فافتح لها باب التجاوز فالتجاوز اجدر
ومن المحال بان ترى احداً احوى كنه الكمال وذا هو المتصور

والنقص في نفس الطبيعة كامن　　　فبنوا الطبيعة نقصهم لا ينكر

فالحمد لله بدأ وختاما ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد الموجودات اعظم به سيداً واماما ، وعلى آله وصحبه ، والتابعين له وحزبه، اللهم زده شرفاً وتكريما ، ومجداً وتعظيما، وجلالة وتفخيما ، وانله من خزائنك الملأى خيراً وافراً عميما ، ومن جليل الترقيات مالايكيف ولا تصل اليه العقول عطاءً من فضلك جسيما ، سبحانك لانحصي ثناء عليك كما اثنيت على نفسك

لك الحمد مولانا على كل نعمة　　　ومن جملة النعماء قولي لك الحمد

فلا حمدَ الا ان تمنَّ بنعمة　　　تعاليت لايقوى على حمدك العبد

على يد الفقير الى مولاه الغني ، احمد بن محي الدين الحسني ، عامله الحق تعالى بلطفه الخفي ، وجزيل فضله الوفي ، وغفر له ولوالده ولمشايخه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، الاحياء منهم والاموات ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، اللهم اجعل لساني رطباً بذكرك ، ونفسي مطيعة لامرك ، وقلبي مملوأ بمعرفتك ، وروحي مكرَّمة بمشاهدتك وسري منعما بقربك ، انك على كل شيء قدير ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

سنة ١٣٠٢

وقد اطلع على هذه الرسالة نخبة من العلماء الاعلام
فتفضل كلٌّ منهم بما يأتى فاثبتناه بحسب وروده

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اجلت طرف الطرف في رياض هذه الرسالة المفيدة، والتدقيقات الفريدة، فوجدتها شاهدة لناسج بردها بالفضل، وانه لكل فن من الفنون العالية اهل، وكيف لا وهم عصابة قد ورثوا الكمال كابرًا عن كابر، وتلقته اصاغرهم عن الاكابر، فلا زال نفعهم عامًا، وبدرهم في سماء المجد تامًا، مادار فلك، وسبح ملك،

الفقير محمود الحمزاوي
مفتي دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لواجب الوجود، والصلوة والسلام على اول موجود، اما بعد فقد اجريت عنان طرفي في هذه الرسالة الغراء، واجلت فكري في تلك الخريدة العذراء، فالفيت مؤلفها احكم كشف الحقائق وابدع، وجنى من اثمار الاسرار ما اينع، واظهر من مكنون افهامه دقائق التحقيق، وابرز من خدر افكاره عرائس التدقيق، كيف لا وهو معدن هذه الجواهر، وعنصر تلك الفضائل والمفاخر، فلا زال كوكب فضله

ساطعاً في افق الافادة ، وبرق مجده لامعاً في سماء السيادة ، آمين

الفقير اليه سبحانه

محمد سليم العطار

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن انطق الموجودات بايات وجوب وجوده ، واغرق المخلوقات في بحار افضاله وجوده ، فسبحانه من اله دل على ذاته بذاته ، وتوحد في وجوده وعلمه وسائر صفاته ، واشهد بوحدانيته نظام المصنوعات ، واقر بخالقيته جميع اهل الارض والسموات ، وصلاةً وسلاماً على اول من برز من العدم الى الوجود ، فصار وجوده رحمة وسبباً لوجود كل موجود ، نبينا محمد سيد كل من له عليه سياده . المفيض الخير على كل من قصده واراده ، وعلى آله البررة الاتقياء ، واصحابه الخيرة الاصفياء ما تعاقب الظلم والضياء . « وبعد » فقد نزهت طرفي في رياض هذه الرسالة الكاشفة عن وحدة العلم وكونه كالنقطه ، فوجدتها شاهدة صدق بان ناسج برودها محتوٍ على فضائل جمة ينبغي من كل فاضل عليها الغبطه ، وكيف لا وهو العالم العامل ، والنحرير الكامل ، من جمع بين شرفي العلم والنسب ، وتحلى بحلل التقوى والادب ، مولانا ذو الفخر العلي ، السيد احمد افندي الجزائري الحسني لا زال كوكب افادته طالعا ، وبدر سيادته ساطعا ، بجاه من هو

للرسل ختام ، عليه وعليهم اشرف صلاة وازكى سلام

قاله الفقير خادم العلم الشريف
بكرى بن حامد العطار
عفي عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز العلم واهله * ورافع مناره ومظهر فضله * والصلاة والسلام على من فتحت بوجوده الشريف خزائن العلوم * وسطعت بظهوره العظيم انوار الفهوم * وعلى آله واصحابه بدور المعارف * وبحور الفضائل والعوارف «اما بعد» فقد طالعت هذا السفر الانور * فاذا هو برد محبر * وعقد كله جوهر *صدر عن علم سابق * وذهن رائق * ونفس صادق * وقريحة اذا ذاق المريد جناها * وشام سناها * تذكر ما بين العذيب و بارق * تعرفت غرائبه بمبديها * وتألفت شوارده بمهديها * لم يطمث ابكاره انس قبله ولا جان * ولم تقطف ازهاره عين ناظر ولا يد جان * امتزج بارواح مطالعيه امتزاج الماء بالراح * واهدى الى نواظرهم التنزه والى نفوسهم الارتياح ودعاهم الى روضة الفاظه الناضرة * ثم ابرز لهم وجوه معانيها الباهرة فاقتطفوا زهور الحقائق من افنان بلاغتها * وارتشفوا على الطرب من ريق سلافتها * ولا غرو فان راسم تلك الآيات المتلوّه * ومبدع محاسنها المجلوّه * هو فرع شجرة طيبة تسامت بنسبة النبوّة معاليها *

واخضرت بماء الرسالة اعاليها *فالله تعالى يبقيه* ومن كل سوء يقيه*
آمين آمين آمين

بقلم الفقير الحقير محمد المرتضى
الحسني الجزائري لطف الله به
في الدارين آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يامن لا اله الا انت آله واحد احدي الذات . لا تقسيم ولا تشبيه في حق الحقيقة والصفات ولا شريك لك في الافعال والمصنوعات . تنزهت جل جلالك عن الاضداد والانداد والاشباه فلا تكييف ولا تمثيل ولا تصوير . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه ينظر اليه المؤمنون بالابصار من غير احاطه ولا ادراك نهاية ليس لعارف علاقه ولا لخائف قرار ولا لأحد من الله جل وعز فرار ونصلي ونسلم على سيدنا محمد فاتح قلوب العارفين باظهار كنه تحقيق الحقائق بتجلي نور فهم سر الدقائق وبروزها بالعلم القديم بمظاهر الاكوان وظهورها بمرآة عالم الامكان وعلى آله واصحابه الدالين على الله تعالى بالحجة والبرهان . «وبعد» فقد تشرف انسان هذا الانسان بمطالعة هذه الرسالة فانجلت لي وتجلت ليلى الجمال فكان استغراقي فيها ومحوى عين صحوى وظهر لي تحقيقها وبدا لي كمال تدقيقها واديت مهر قبولها بلا مطل لناسج بردها الغربي بالشرق وهكذا يجب اداء الحق بالجمع

والفرق هو ذو الشرف البـاذخ والقدم الراسخ وارث علم اليقين وحق اليقين عن جده سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . العالم العامل العلامه التقي الكامل الفهامه واحد عصره وسيـد مصره مولانا السيد احمد بن محيي الدين الحسني الجزائري نزيل دمشق الشام عم به وبها النفع للخاص والعام وحفظه مولاه وابقاه ومتع هذا العالم بطول بقاه وجزاه عنا وعن الجميع احسن الجزاء وجعله ذخيرة للعلماء اللهم آمين

كتبه الفقير

عبد الباسط مفتي بيروت

عفي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن توحد في ذاته وافعاله واحكامه وصفاته وصلاةً وسلاماً على سيد اولي النهى القائل انا مدينـة العلم وعليٌّ بابها وعلى آله الاطهار وصحابته الاخيار «اما بعد» فان العلم قد اتحدت ذاته وتعددت تعلقاته وصفاته فظن من قصر فهمه وحاد عن الصواب علمه ان التعدد في العلم والقول بغير ذلك يدل على القصور في الفهم ولذلك اشكل على بعض الناس قول الامام عليٍّ نخبة الاكياس العلم نقطة كثرها الجاهلون الدالّ على انه عن التعدد مصون فاعملوا في هذه العبارة الظنون ونهجوا ضدّ الصواب من حيث لا

يعلمون واكثروا من القال والقيل وجنحوا الى التقييد والتأويل
ولم يحوموا نحو مقصود الامام القائل عمدة الاواخر والاوائل فتصدى
لذلك العالم الفاضل والعمدة الكامل سليل الامام سيدنا علي
صاحب القدر الجليل والسر الجلي السيد احمد بن محيي الدين
فألف هذه الرسالة الدالة على ادراكه الوصين وسلك بها مسلك
اهل الاذواق والفرقان وضمنها ما ابان المقصود أولى بيان خصوصاً
وهو لقائل هـذه العبارة من اولاده وهو اعلم بمقصوده ومراده
وغبّ اتمام هذا التأليف على اتم وجه رصيف امرني بمطالعتها
واستقصاء قراءتها فسرحت طرفي في رياض معانيها واجلت الفكر
في غياض مبانيها فوجدتها بديعة الترتيب بعيـدة عن التعييب
ناطقة بالصواب خالية من الايجاز والاطناب لا عيب فيها سوى
اتصافها بما زان وخلوها مما شان ويحق لمطالعها ان يقول ليس في
الامكان ابدع مما كان نفع الله تعالى بها الانام واحسن لنا ولمؤلفها
وللمسلمين بحسن الختـام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
الكرام صلاة دائمة باقية الى قيام الساعة وساعة القيام

بقلم الفقير الى الله عز شأنه
عبد الرزاق بن حسن البيطار
عفي عنهما

حمداً لمن جعل نقطة العلم مبدأً للسعادة * وفضل المتصفين به على سائر الخلق بالافادة والاستفادة * فكثرها الجاهلون طلباً للوقوف على معرفة كنه حقيقتها وانى لهم ذلك وهم عاجزون * وفوق كل ذي علم عليم * يعلم خائنة الاعين في الليل البهيم * وصلاة وسلاما على من تكونت من فيوضات علمه علوم الاولين والاخرين * المنزل عليه في فضل العلماء بلسان عربي مبين * هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون * القائل انا مدينة العلم وعليٌّ بابها * فمن دخل من باب تلك المدينة حظي بعروسها وكشف له نقابها * فغنم مشاهدة جمال جنابها الرفيع * وفاز بوصال معناها البديع * سيدنا محمد الذي حقيقته اصل حقيقة كل ظاهر ومكنون * وما يعقلها الا العالمون * وعلى اله واصحابه الراسخين في العلم * السابقين في ميادين الفهم * نجوم الاقتدا * وشموس الاهتدا * والتابعين لهم * السالكين سبلهم * آمين «اما بعد» فقد تصفحت هذه الرسالة * التي هي لنقطة العلم هالة * فالفيتها فريدة * اخرجت من خزانة مكنونات العلوم · وخريدة بزغت من افق الفهوم · توشحت بما احتوت عليه من الادلة النقلية · وترشحت بما انطوت عليه من الدلالات العقلية ماست تتيه بوحدة وجودها دلالا · ورنت ترشق من الحاظ تنزهت عن الحلول فيها نبالا · كيف لا وناظم عقد معانيها قس الزمان ·

وناسج برد مبانيها سحبان الاوان · ومطرز بديع تبيانها بديع همدان العالم الافضل · العامل الاكمل · السميدع الجليل · ذو المجد الاثيل · الجامع بين شرفي العلم والنسب · المتحقق بين الاحبار بالفضل والادب · مولانا السيد احمد بن محي الدين الحسنى الجزائرى نزيل دمشق الشام

امام اذا اهل الفضائل عددت   همام اذا قيل ما في الناس سيد
له العلم وصف واليراع مطاوع   وفي الشرف الموروث ركن مشيد

كان الله تعالى له حيث كان · وشملنا واياه بالعفو والاحسان · وعمم النفع بنا · وارحم والدينا · واحسن لنا الختام · بجاه المرسل رحمة للعالمين · واله الطيبين · وصحابته اجمعين · والحمد لله رب العالمين

كتبه الفقير الى الله تعالى
محمد عارف المنير الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفقنا للاستدلال على وحدانيته بالعقليات والنقليات · والصلاة والسلام على من اوتي جوامع الكلم والمعجزات الباهرات · وعلى اله واصحابه الذين اسكتوا المخاصمين بالبراهين والبينات « وبعد » فقد تشرف نظرى بمطالعة هذه الرسالة · وسرّ خاطري بما ابداه جامعها من المهارة والنبالة · فلله دره على ما ابدع فيها واودع جعل الله سعيه

مشكورا . وتجارته رابحة لن تبور . آمين

كتبه الفقير خادم العلما
محمد المنيني العثماني

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن الهم الانسان بيان الفنون وفنون البيان والصلاة والسلام على سيد الانام وعلى آله الاطهار واصحابه الاخيار «وبعد» فقد تيمنت بمطالعة هذا السفر المنير فاذا هو يسفر عن كمال فضل مؤلفه النحرير ولا عجب من مالك شرفي العلم والنسب زهرة الروضة النبوية وحسنة السلالة الحسنية ان يتكلم من العلم على كلمه بما لا يقدر قدره الا من علمه ادام الله نفعه العام للخاص والعام مفتخرًا بكمال اقباله واقبال كماله آمين

الحقير محمد الخاني الخالدي
النقشبندى عفى الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد المولى المحمود الاحد المنان واصلي واسلم على نقطة الوجود سيد ولد عدنان والسبب في كل موجود انسان عين كل انسان سيد سادات الاباء والجدود من لدن آدم الى آخر الدوران وعلى آله وصحبه ذوي العلم والحلم والفضل والجود والتابعين وتابعيهم باحسان «اما بعد» فقد سرحت طرفي في روض هذا السفر البديع فالفيته

جنة باكرها النوْر في ابان الربيع كيف لا ومرصع تاجه من ارومة نبوَّه وجرثومة فتوَّه ولا بدع حيث الباري اعطى القوس البارے

وقلت في هذا السيد البطل وسفره السامي الاجل هذه القصيدة من بحر الرمل وما ابرئ نفسي من التقصير والزلل

بابي من قد تجلت للعيان ... نقطة ليس لها في الكون ثان

حار ارباب النهى في كنهها ... وجروا في وصفها جري الرهان

امعنوا الفكر بها فارتبكوا ... وتلاشوا بافتراق واقتران

سابقوا للحب في ميدانها ... وسروا ما بين وخد وجبان

جاهدوا في حل معنى رمزها ... علهم ان يدركوا بعض معان

فغدوا منها حيارے ما بهم ... صاح صاح من سوى خمر الدنان

كيف يدرَى سرّ معنى نقطة ... جمعت كل المعاني والبيان

والذي احرزها قطب الورى ... اسد الهيجاء يوم النهروان

باب مصر العلم ختم الخلفا ... حيدر الكرار في وقت الطعان

ايد الله به العلم كما ... ايد الله به الدين المصان

ليس يدري ما انطوى في علمه ... غيره اذ منه ذا الذر استبان

او فتى ممن سما من نسله ... اوجَ عِرفان على اهل الزمان

كالامير ابن الامير الحسني ... احمد المحمود في كل لسان

شمس فضل اشرقت انوارها ... في سماء المجد في كل مكان

بدر فهم لم يضيء نحو حمى ... ظلسم الاَّ تبدى العيان

بحر علم قد حوى درًا كما ... جمع اللؤلؤ في بحر عمان

صاغ هذا السفر من جوهره ... فحكت الفاظه عقد جمان

قد اتى فيـه بابهى عجب ... وعن المقصود حقًا قد ابان

قل لمن ينكر يومًا فضله ... حسدًا من عنده يابئس جان

هذه آياته قد شهـدت ... انه في الفضل في اعلا مكان

كيف لا يا آل بيت المصطفى ... والى القرآن منكم ترجمان

وبكم كم نزلت من آية ... واحاديث صحاح وحسان

معدن العلم اللدني انتم ... وسوا كم نال رشفًا بالبنان

حبكم فرضٌ علينـا نافع ... انه لا شك يدني للجنان

فعلى جدكم خير الورى ... صلوات وتحايا وامان

وعليكم وعلى اولادكم ... رحمات ورضاء في تهان

وعلى ذرية طاهرة ... رضي الله عليهم كل آن

ما بدت شمس وتمت تزدهي ... في ضياء واستنار الفرقدان

بقلم الفقير الى الغني الخلاق محمد

سعيد بن الشيخ قاسم الحلاق

عفي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

« وبه نستعين »

حمداً لمن اطلع شمس التوحيد في خلع لباس التجريد على صفحات رياض الصفات وطمس رسوم اوهام التقييد في عين اعيان الجمع والتفريد فاستوت في عين وحدته الممكنات وصلاة وسلاما على مظهره الاكمل فاتق كنز الاحديه وعلى آله وورثائه ما صدح طائر الانس بالالسن الزكيه «وبعد» فقد اجلت فكري الفاتر بمرآة هذه العروس المتحلية بحلى رقائقها نفائس النفوس فوجدتها باهية السنا مستحقة للثنا جديرة بان يقال في علو شأنها وعزة سلطانها

عروس تجلت في سما مجدها الاسمى ... تسمى بهند للتعرف او اسما
هي الراح للارواح رقت شمائلاً ... فكم اسكرت لباً وما مزجت كرما
تجل عن الاوصاف في دير قدسها ... حقيقة حسن الكون تخطبها الاسما
تحلت وما حل اتصاف بحسنها ... لغير الذى يهوى شمائلها العظمى
وما حامدوها يكشفون نقابها ... يقيناً سوى من كان احمدهم عزما
حسيب نسيب قد حذا حذو اصله ... فيا نعم ذلك الاصل والفرع يانعما

الفقير محمد رشيد
الشهير بابن سنان

باسم الذات الاحدية والصفات الاقدسية حمداً لمن له الحمد
الحقيقي المطلق البارزمن حضرة الحق في مظاهر صور الخلق حمداً
يشهدك في صور تثنيه ظهور الواحد باثنين بحقيقة التعيين في حضرة
احدية العين احمده وهو الحامد والمحمود واشكره والشكر منه واليه
يعود فله مجامع الثناء بما هو منه اليه وله الكبرياء في عالمي الظهور
والبطون على ما تعين لديه فلا ملجأ ولا معول الا عليه وصلاة
وسلاما على حضرة نقطة دائرة الوجود محمد الممنوح من حضرة الودود
بكرائم الجود وعلى آله واصحابه المختصين بكمال المعرفة في ارقى مراتب
الشهود ما بزغت شمس الحقيقه على عموم افراد الخليقه «اما بعد»
فقد تبلج في هذه الطروس صبح ناظري وتأرج بعبير نفحاتها القدسية
باطني ومناظري بما حوته من غرر طرز فوائد هاتيك المباني الحاملة
لبدائع ودائع فرائد جواهر المعاني مما يجول في غرائز النفوس كشفها
بالبيان ويحول دون كشف مخباها لكنة الالسنة عن التبيان بيد
ان ناسج برودها ومازج بياض طلعتها بحمرة خدودها حضرة الفاضل
الشهم الاوحد والعلامة المحقق المفرد السيد احمد بن السيد محيي
الدين الحسني الجزائري الامجد قد قدح فيها من زناد فكره الوقاده
اسئلة دقيقة لاينسجها الا السادة القاده وبفهمها كمال الافادة فبرزت
كعروس مجلاة تسفر عن انجلاه بظهور بدر علاه وفي الحقيقة هي

من غوامض المسائل مما يعانى البحث عنها كل فاضل سائل فالله يلهم الصواب كل فاضل عنها اجاب وقد. قلت في حضرة مبرزها هذه الابيات مع القصور بحقيقة تلك الذات

خود تأَرَّج طيبها بالعبهري فأرتك ضوءَ الشمس بعد تستر
برزت من الخدر المصون كانما جُليت عقوداً امن قلائد جوهر
ولحسن مطلعها الانام تواثبوا خُطباً فلم يظفر بها الا السري
هو احمد الشهم بن محيي الدين من ورث الفضائل كابراً عن كابر
بدر الهداية تاج اكليل العلا جم الفضائل فرع ذاك القسور
السيد بن السيد الحسنيّ من شهدت بنسبته سراة الاعصر
آل البتول البضعة الزهرا التي جمعت فضائلها بحضرة حيذر
اهدى لنا من فكرة وقادة راحاً معتقة بدنٍّ عنبري
فابان اسئلة تلوح لخاطر من معضلات دقائق المتحير
واولو الفضائل لم يفوا ببيانها حق البيان لحسنها المتستر
علماً بان ذكاءَ ناظم بردها قمنٌ بكشف بيانها المتعسر
لا زال ينشر للفضائل كاشفاً عنها البراقع بالبيان الاظهر
فالله يمنحه العلا وبنيه ما صعد الخطيب على مراقي المنبر

مصطفى البقاعى
عفى عنه

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٦	١٤	بدات	بدت
٣٥	١٩	بالاذل	باذلال
٣٩	١٨	حشا	حاشا
٤٢	٢	المطالع	المطامع
..	٤	خروف	خروق
٤٦	١٣	خسه	خسة
٥٣	١٥	هازم	هاذم
٧٤	٣	الغوال	العوال
٧٩	٧	عيبة	غيبة
٩٤	١٠	جب	حب
٩٥	١٤	ساد	سار
٩٩	٣	يؤنكم	يؤتكم